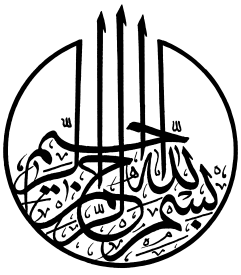

أسرار خطاب السيدة الزهراء عليها السلام وجمالياته

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ـ وزارة الثقافة العراقية ١٧٣٦- لسنة ٢٠١٧

مصدر الفهرسة:	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم استدعاء مكتبة الكونجرس:	**BP 27.22.J3 2017**
المؤلف الشخصي:	الجديّع، حيدر محمود شاكر
العنوان:	أسرار خطاب السيدة الزهراء وجمالياته: دراسة نقدية تحليلية/ تأليف الدكتور حيدر محمود شاكر الجديّع.
بيانات الطبعة:	الطبعة الأولى
بيانات النشر:	كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة - قسم الشؤون الدينية. شعبة النشاطات الدينية، ١٤٣٨هـ= ٢٠١٧م
الوصف المادي:	[١٩٦] صفحة
سلسلة النشر:	قسم الشؤون الدينية؛ (شعبة النشاطات الدينية؛٢١٩)
تبصرة ببليوغرافية:	يتضمن هوامش - لائحة مصادر (الصفحات: ١٨٢-١٨٩).
موضوع شخصي:	فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، حوالي ٨ قبل الهجرة - ١١ هجري - خطب.
موضوع شخصي:	فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، حوالي ٨ قبل الهجرة - ١١ هجري - إيذاء.
موضوع شخصي:	فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، حوالي ٨ قبل الهجرة - ١١ هجري والأدب.
مصطلح موضوعي:	البلاغة العربية.
مصطلح موضوعي:	اللغة العربية - ألفاظ.
مصطلح موضوعي:	الخطب الدينية الإسلامية.
مؤلف اضافي:	فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، حوالي ٨ قبل الهجرة - ١١ هجري - الخطبة الفدكية.
عنوان اضافي:	الخطب الفدكية.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

أسرار خطاب

السيدة الزهراء عليها السلام وجمالياته

دراسة نقدية تحليلية

تأليف

الدكتور حيدر محمود شاكر الجديع

العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الدينية

شعبة النشاطات الدينية

طبع برعاية

العتبة الحسينية المقدسة

العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الدينية – شعبة النشاطات الدينية

تنويه: إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبّر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

{ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ }[1].

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٥-٣٦.

الإهداء

إِلَى مِشْكَاةِ نُوْرِ اللهِ جل جلاله الَّتِي لَمَحَتْ أُمِّي أَنْوَارَهَا فِي الآفَاقِ..! فَدَعَتِ اللهَ عز وجل بِحَقِّهَا فَوُلِدْتُ بِفَضْلِها، وَسَأَحْيَا لأَجْلِهَا، حَسْبُهَا إِنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ العَالَمَيْنَ مِنَ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ، حُجَّةُ اللهِ سبحانه وتعالى الكُبْرَى عَلَى حُجَجِ خَلْقِهِ المَعْصُومِيْنَ، أُمُّ أَبِيْهَا الرَّسُولِ العَظِيْمِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وَرُوْحُهُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ، سَيِّدَتِي وَمَوْلَاتِي فَاطِمَةُ الزَّهْرَاء عليها السلام.

المُقَدِّمَة

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ * اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى فَاطِمَةَ وَأَبِيْهَا وَبَعْلِهَا وَبَنِيْهَا وَالسِّرِّ المُسْتَوْدَعِ فِيْهَا، عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُكَ، صَلاَةً لاَ غَايَةَ لِعَدَدِهَا، وَلَا نِهَايَةَ لِمَدَدِهَا، وَلاَ نَفَادَ لأَمَدِهَا..!، وَالعَنْ أَعْدَاءَهُم.

وبَعْدُ:

فلقد تلقّى كلامَ سيّدة النّساء أُمّ العِصمة والطَّهارة السيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام، العلماءُ الأجلّاءُ من القدماء والمُحْدَثين والمعاصرين الأَكْفَاء على مستوى العلميّة الحوزويّة، وكذا على مستوى الدراسة الأكاديميّة، وأولوه أهمية كبرى في أبحاثهم ودراساتهم، حتى امتلأت المكتبة الإسلاميّة على وجه الخصوص بشروح تراث نتاجها المبارك وتفسيراته، واجتراح تخصّص موضوعاته، وعلى مستويات ثقافة التّلقي كلّها، بما تحويه من علوم مختلفة، وتخصصات متعددة، ومناهج منوّعة. منهم الشيخ محمّد باقر الأنصاريّ التبريزيّ (ت ٣١٠ هـ)، في مؤلَّفه: (شرح خطبة الزهراء عليها السلام)، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ البصريّ البغداديّ (ت ٣٢٣ هـ)، في مؤلَّفه: (السقيفة وفدك)، والشيخ محمّد باقر المجلسيّ (ت ١١١١ هـ)، في مؤلَّفه: (الزهراء عليها السلام

وخطبة فدك)، والسيّد عبد الله شبّر، في مؤلَّفه: (كشف المحجّة في شرح خطبة اللُمَّة)، والشيخ محمّد عليّ بن أحمد التبريزيّ، في مؤلَّفه: (اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام)، والشيخ محمّد ظاهر آل شبّر الخاقانيّ، في مؤلَّفه: (شرح خطبة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام)، والشيخ نزيه القميحانيّ، في مؤلَّفه: (شرح خطبة الزهراء عليها السلام وأسبابها)، والسيد محمّد شعاع فاخر، في كتابه: (فاطمة الزهراء عليها السلام دراسة في محاضرات)، والسيّد حسن الشيرازيّ، في كتابه: (كلمة فاطمة الزهراء عليها السلام)، والسيّد محمّد صادق الروحانيّ، في كتابه: (السيّدة الزهراء عليها السلام بين الفضائل والظلامات)، والمحقّق محمّد جَواد المحموديّ، في كتابه: (خطب سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام - مصادرها وأسانيدها)، والشيخ حسين نجيب غُلامي، في كتابه: (إحراق بيت فاطمة عليها السلام)، والسيّد محمّد بن المهدي الحسينيّ الشيرازيّ، في كتابه: (من فِقْه الزهراء عليها السلام)، والشيخ محمّد السند، في كتابه: (أُمّ مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام)، والباحثة انتصار عدنان عبد الواحد العوّاد، في كتابها: (السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام -دراسة تأريخيّة)، والكاتب السودانيّ عبد المنعم حسن، في كتابه: (بنور فاطمة اهتديت)، والباحث عامر سعيد نجم عبد الله الدليميّ، في كتابه: (أساليب الإنشاء في كلام السيّدة الزهراء عليها السلام).

وعليه فإنّ دراستنا المعنونة بـ(أَسْرَارُ خِطَابِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام وَجَمَالِيَّاتُهُ - دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ تَحْلِيْلِيَّةٌ)، تشتغل على معالجة أسرار خطابها عليها السلام، وعرض جماليات مكوّناته الأسلوبيّة في الخُطبة الفدكيّة[1]، التي تهيكل بناءه الكلّي العامّ،

(١) اعتمدت القراءة نصّ الخطبة المباركة الموثق في (الاحتجاج) للعلامة الطبرسيّ: ج١/٢٥٣-٢٨٤، وهو من علماء القرن السّادس الهجريّ، واستندت إلى طبعته المصحّحة المحقّقة، عمل على تحقيقها إبراهيم ←

وتؤسس روافد مرجعياته في تكوينه الخاصّ، لكون كلام السيّدة الزهراء عليها السلام مشتقّاً كلّياً من كلام الله، فجزئيات خطابها كلّها؛ ببنيته السطحيّة والعميقة، لها تخطيطها المرسوم، وقصدها المعصوم، من حيث ما يحويه كلامها من خصوص وعموم، إذْ كانت إجراءاتها بمنهجٍ نقديّ تحليليّ.

من هنا تكفّل الفصل الأوّل بإعطاء صورة عامّة لخصائص نتاجها الأدبيّ عليها السلام، وما ينماز به عن سائر نصوص البشر؛ ثمّ تهيئ المِهاد لأحداث الخطبة ومناسبتها عند فصلها الثاني؛ حتّى تبتدئ معالجتها بعَتَباتها لدى أسرار حقائق عنوان الخطبة وعلاقته بمناسبته، وجماليّة ديباجتها ونظم هندستها وحركتها داخل خطاب الفدكيّ في فصلها الثالث.

ومِنْ ثَمَّ يأتي فصلها الرابع، ليبيّن أسرار علاقات التّناسب الدلاليّ وتراتبه السّياقيّ بكونهما قطب الوظيفة الجماليّة وطاقة قوة الخطاب فيهما معاً، ومنهما إلى البحث عن أصناف الآخر في خطابها عليها السلام وملامحهم لدى فصلها الخامس، من حيث الآخرُ الإلهيُّ (حزب الرّحمن) الذي اختاره وانتجبه واصطفاه واصطنعه لنفسه، ومن حيث الآخرُ الوضعيّ الأرضيّ (حزب الشّيطان)، وعَبْرهُ يكون الدخول في فصلها السادس، لتعالج تشخيصها القرآنيّ لعَلاقة الآخَر الخصم الظالم وقومه الذين معه بالشيطان، ومن خلاله تدخل في رحاب فصلها السابع، لتدرس تلقيها عليها السلام للقرآن الكريم، بشِقَّيه الأوّل: الامتثاليّ؛ مثل افتتاحها بالاستهلال القرآنيّ، وتوظيفها مفرداته، وتشخيصها علاقة الآخر ووصفها وتصويرها، والشِّقّ الثّاني: الاستدلاليّ؛ من

→

البهادريّ ومحمّد هادي بِه، وأشرف عليها العلامة المحقّق الشّيخ جعفر السّبحانيّ، إذْ أوردنا بيانات نشره في قائمة مصادر القراءة ومراجعها.

استدلالها المباشر الصريح لآياته المباركات، وأسرار خصائصه التوثيقيّة والحِجَاجيّة؛ ومِنْ ثَمَّ مجيء الفصل الثامن، ليُنْعم النظر في إشارة خطابها عليها السلام إلى التطابق المتبادل مع إشارة بعلها الإمام عليّ عليه السلام في نهج بلاغته الخالد، وبعده يليه فصلها التاسع، فتزيح الدراسة اللثام من على أسرار تكرار الكلمة المفتاح ووظيفته الحِجاجيّة وبُعْدها الغائيّ منه، وقصديتها المخصوصة بتَكرارها في خطابها الجميل، كتكرار كلمة لفظ الجَلالة (الله)، وكلمة (أَبِي)، و(ابن عَمِّي)، وكلمة (كِتَاب الله).

ثُمَّ يلتحق به الفصل العاشر الذي يكشف جمالية تكثيف (الكلمة الموضوع) وأسراره في خطابها الفدكيّ، حتى يليه الفصل الحادي عشر، فيُفصّل مُحلّلاً جماليّة استفهامات خطابها عليها السلام وأسرارها، وملامح اشتغالها الحِجَاجِيّ، بأقسامها بحسب عدد اشتغال أدواتها، وجُملها التي تحملها موضوعة كلّ مقطع استفهاميّ وتوجّهها حِجَاجيّاً وعلاقاتها الأسلوبيّة المتعاضدة فيما بينها تراتباً، بقصديّة تهدف إليها السيّدة الزّهراء عليها السلام في تماسك خطابها وقوّة انسجامه في تواصلها مع الخصم المُخَاطَب، وما بعده بتداوليّة زمكانية أُفقية وعمودية لا انقطاع لها وحتى موقفها عليها السلام تحت لواء الحَمْد.

ومِنْ ثَمَّ خاتمة الدراسة ونتائجها، لتتحدّث عمّا تمخّض في أثناء متون فصولها ومباحثها وتوصلت إليه، ومِنْ ثَمَّ أهمّ مصادرها ومراجعها الموظّفة فيها تاج رأسها القرآن الكريم العظيم.

وفي ختام مقدّمة الدراسة، أَحْمدُ اللهَ حَمْدَاً كَثِيْرَاً فَوْقَ حَمْدِ الحَامِدِيْنَ بِعَظِيْمِ حَمْدِ رَسُوْلِنَا نَبِيِّنَا الأَعْظَمِ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَشْكرُهُ تَعَالَى بِشُكْرِهِم، وَفَضْلِهِم عَلَى العَالَمِيْنَ، مِنَ الأَوَّلِيْنَ وَالآخرِيْنَ، وَأَسْأَلُهُ سبحانه وتعالى قَبُوْلَ هَذَا العَمَلِ عَبْر وَجْه

زَهْرَائِهِ فَاطِمَة مِشْكَاةِ نُوْرِهِ عليها السلام، إِنَّهُ سَمِيْعٌ مُجِيْبُ الدُّعَاء.

الوِلَادَة المَيْمُونَة المُبَارَكَة لِأَبِي الزَّهْرَاءِ عليها السلام رَسُولِنَا العَظِيْمِ المُصْطَفَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وَلِحَفِيْدِهِمَا الإِمَامِ جَعْفَر بنِ مُحَمَّد الصَّادِقِ عليهما السلام.

الدكتور حيدر الجديع

كَرْبَلَاء المُقَدَّسَة

المُصَادِف ١٧/ ربيع الأوّل/ ١٤٣٨هـ

المُوَافِق ١٧/١٢/٢٠١٦م

الفصل الأول

خصائص النتاج الأدبي للسيدة الزهراء عليها السلام

خصائص النِّتاج الأدبيّ[1] للسيّدة الزهراء عليها السلام

إنّ العلّة الرئيسة أو الأصل الثابت يعطيان الخطبة خصائصها ومقاماتها الاستثنائية من بين سائر نتاجات الأدب الإسلاميّ بخاصّة، والنتاج الإنسانيّ بعامّة، متجسّدان في خصائص السَّيّدة الزهراء عليها السلام ومقاماتها التي انعكست هي نفسها متداخلة انسكاباً في خطبتها وتفصيلات مضامينها، ومتعلقات جزئياتها وكليّاتها، وسياق خاصّها وعامّها، وهذا ما يتلقّاه كلّ حاذق وحصيف للوهلة الأولى لقراءتها، وبهذه الخصائص العظيمة والمقامات الجليلة التي تنماز بها السَّيّدة الزهراء عليها السلام عن سائر الخلق كافة؛ تتوجّز في أنّها ابنة مدينة العلم والحكمة خاتم الأنبياء والمرسلين الرسول العظيم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم الذي يقول: **«أَنَا أَفْصَحُ العَرَبِ بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْش»**[2].

وهو القائل أيضاً: **«فَاطِمَة بضْعَةٌ مِنِّي وَهَي رُوْحِي التِي بَيْنَ جَنْبَي يَسُوؤُنِي مَا سَاءَها ويَسُرّنِي مَا سَرَّها»**[3].

---

(١) خصّصنا الأدبيّ مقاربة للمقام، وإلا فهي عليهما السلام عندها نتاج شعريّ محقّق في كتاب مستقل، جمعه وحقّقه محمّد عبد الرّحيم، بيروت- لبنان، ط١/ ٢٠٠٠م.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب: ٣٠٣/٢. وغريب الحديث لابن سلام: ١٤٠.والفائق في غريب الحديث: ١١. وغريب الحديث في بحار الانوار: ١٠٤/١.

(٣) بحار الأنوار: ٦٣/٢٧.

وقوله صلى الله عليه وآله: «أَمَّا ابنَتِي فَاطِمَة فَإِنَّهَا سَيِّدَة نِسَاءِ العَالَمِينَ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخَرِينَ، وَهِي بضْعَةٌ مِنِّي، وَهِيَ نُورُ عَيْنِي، وَهِي ثَمَرَةُ فُؤادِي، وَهِي رُوْحِي التِي بَيْنَ جَنْبَي، وَهِيَ الحَوْرَاءُ الإِنْسِيَّة مَتَى قَامَتْ فِي مِحْرَابِهَا بَيْنَ يَدَي رَبِّهَا جل جلاله زَهَرَ نُوْرُهَا لِمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ كَمَا يَزْهر نُوْرُ الكَوَاكِب لأَهْلِ الأَرْض، ويقول الله لِمَلَائِكَتِه يَا مَلَائِكَتِي انظرُوا إِلَى أَمَتِي فَاطِمَة سَيِّدَة إِمَائِي قَائِمَة بَيْنَ يَدَي تَرْتَعِد فَرَائِصُهَا مِن خِيْفَتِي وَقَد أَقْبَلَتْ بِقَلْبِهَا عَلَى عِبَادَتِي، أُشْهِدكُمْ أَنِّي قَدْ آمَنْتُ شِيْعَتَهَا مِنَ النَّارِ، وَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُهَا ذَكَرْتُ مَا يَصْنَعُ بِهَا بَعْدِي، كَأَنِّي بِهَا وَقَدْ دَخَلَ الذُّلُ بَيْتَهَا وَانْتُهِكَتْ حُرْمَتَهَا، وَغُصِبَتْ حَقَّهَا، وَمُنِعَتْ إِرْثَهَا، وَكُسِرَتْ جَنْبَتُهَا، وَأَسْقِطَتْ جَنِيْنَهَا، وَهِي تُنَادِي يَا مُحَمَّدَاهُ، فَلَا تُجَابُ، وَتَسْتَغِيْثُ فَلَا تُغَاثُ، فَلَا تَزَالُ بَعْدِي مَحْزُوْنَةً مَكْرُوْبَةً بَاكِيَةً تَتَذَكَّرُ انْقِطَاعَ الوَحْي عَنْ بَيْتِهَا مَرَّة، وَتَتَذَكَّرُ فرَاقِي أُخْرَى، وَتَسْتَوْحِشُ إِذَا جَنَّهَا اللَّيْلُ لِفَقْدِ صَوْتِي الذِي كَانَتْ تَسْتَمِعُ إِلَيْهِ إِذَا تَهَجَّدْتُ بِالقُرآنِ ثُمَّ تَرَى نَفْسَهَا ذَلِيْلَةً بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فِي أَيَّامِ أَبِيْهَا عَزِيْزَةً، فَعِنْدَ ذَلكَ يُؤنِسُهَا اللهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ بِالمَلَائِكَة، فَنَادَتْهَا بِمَا نَادَتْ بِهِ مَرْيَم بِنْت عُمْرَان فَتَقُولُ: يَا فَاطِمَةُ {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ}[١] يَا فَاطِمَةُ اقْنتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي»[٢].

وكما أنّها زوج باب مدينة العلم والحكمة خاتم الأوصياء سيّد الأولياء الإمام عليّ بن أبي طالب عليهما السلام الذي لو بقي على نهج بلاغته الذي حيّر العقول من الأوّلين والآخرين لكفاه فخراً وذخراً وشرفاً، إذ قال رسول فيهما أنفسهما معاً: «أَنَا مَدِيْنَةُ العِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا فَمَنْ أَرَادَ العِلْمَ وَالحِكْمَةَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا»[٣].

---

(١) آل عمران: ٤٢.

(٢) بحار الأنوار: ٢٨/ ٣٨.

(٣) بحار الأنوار: ١٠/ ١٢٠. وعيون أخبار الرضا (ع): للشيخ الصدوق: ١/ ٧١. وجامع الأحاديث: ←

وكذا قول الإمام عليّ عليه السلام: **«وَإِنَّا لأُمَرَاءُ الْكَلاَمِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصونُهُ»**(١).

فإذا كان الذي يدرس - في زماننا - في الجامعات العالمية الرصينة يشار إليه بالبنان، وتعتمد شهادته العلمية في مجال تخصّصه، فكيف بسيّدة النّساء فاطمة الزهراء عليها السلام**!**؟، وها هي قد تخرّجت في مدرسة السماء مدرسة الوحي والنّبوة والإمامة**.** فضلاً عن أنّ نصّ خطبتها من نصوص عصر الفصاحة والبلاغة، ولا عجب فهي سيّدة بلاغات النّساء والرجال بعد أبيها وبعلها**.** علماً أنّنا نلمح بعض خصائصها ومقاماتها ليس غير، وإلا فخصائصها ومقاماتها حوتها الموسوعات الضخمة، ودوائر المعارف الواسعة**.** وأهم خصيصة ومقام لها أنّها حَلْقةُ الوصلِ في التكامل الوظيفيّ بين النّبوة والإمامة، ومنها تبدأ بكفئها وتنتهي بحفيدها الحجّة ابن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف، لذا جاء في الحديث القدسيّ: **«يَا أَحْمَدُ لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الأَفْلَاكَ، وَلَولَا عَلِيٌّ لَمَا خَلَقْتُكَ، وَلَوْلَا فَاطِمَةُ لَمَا خَلَقْتُكُمَا»**(٢). وهذا يثبت كونها حجّة الله الكبرى على الخَلْق أجمعين، وهو ما جاء في حديث الإمام العسكريّ عليه السلام: **«نَحْنَ حُجَجُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَجَدَّتُنَا فَاطِمَةُ حُجَّةُ اللهِ عَلَيْنَا»**(٣).

إذاً السَّيّدة الزهراء عليها السلام بمقتضى الحديث هي حُجّةٌ على الخلق وحجّة على الإمامة المتمثلة بالأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

→ للسّيوطي: ٣٦/٧.

(١) نهج البلاغة: تحـ/ السيد الميلاني: ٧٣ وما بعدها.

(٢) أبحاث في سرّ الخطاب في الكتاب من الكتاب: للعقيليّ: ٢٤٥.

(٣) الأسرار الفاطمية: للمسعوديّ: ٦٩.

فكيف بها من حجّةٍ عظيمةٍ!، تنطق على لسان الوحي والنّبوة والإمامة، ولا عجب فهي من أهل بيتٍ أبعد الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، ومِنْ ثَمَّ فإنّها أحد مصاديق العصمة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[١].

وعلى وفق هذا المقام الإلهيّ العظيم لأهل البيت عليهم السلام فكلّ كلام صادر منهم يكون طاهراً مطهّراً كما أرادهم الله عز وجل. بما فيه من عناصر لفظية ودلاليّة بما ينماز به من طابع نظام بنائه المحكم هندسيّاً، عبر تلاحمه العضويّ بين جزيئات النّص وتناميها وتواشجها مع العناصر الإيقاعية والصّوريّة بما يواكبها من مكونات خاصّة بنياته المتعدّدة[٢]، وهذا ما نراه ونعتقده ونؤمن به في الخطبة العصماء للسيّدة الزهراء عليها السلام.

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) ينظر: أدب فاطمة الزّهراء عليها السلام: د. محمود البستانيّ: ٢٠.

الفصل الثاني

أحداث الخطبة ومناسبتها

أَحْدَاثُ الخُطْبَةِ ومُنَاسَبَتُهَا

إذا كانت الخطبة من الفنون النثرية القديمة الجديدة، من حيث كون جذر دلالتها اللغوية؛ (الكلام المنثور [الذي] يخاطب به متكلمٌ فصيحٌ جمعاً من النّاس لإقناعهم)[١]، فهذا يدلنا على أنّها (المواجهة بالكلام)[٢].

وعليه فإنَّ مقتضى حال الخطاب الحِجاجي يكون في مراجعة الكلام، بكون أصل الخطبة هي مصدر الخطيب[٣] من جهة، وبكون حِجاج خطابها (ظاهرة اجتماعية وثقافية له علاقة بالاستدلال والمنطق محايث لنظام اللغة الداخلي، ومنفتح على العالم الخارجي، ومرتبط بدواعي القول)[٤] من جهة أخرى.

ومع الأخذ بنظر الاعتبار إلى أنّ عامّة النّاس يتأثرون بمشاعرهم أكثر ممّا يتأثرون بعقولهم، فهم عند هذا أحوج ما يكونون إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحُجّة، فلا يكفي إذاً أن يعرف القائل ما ينبغي أن يقول، بل يجب عليه أن يقول القول كما ينبغي للوصول إلى حال إقناع المتلقّي المخاطَب بما يروم ويهدف إليه، من حيث إنّ التواصل الخطابيّ منوط بالتفاعل الجدلي ذي القوة الجاذبة

(١) المعجم الوسيط: باب الخاء.

(٢) أساس البلاغة: للزمخشري: مادة (خطب): ١/١١٧.

(٣) العين: باب (الخاء والطاء والميم).

(٤) عندما نتواصل نغيّر –مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحِجاج-: عبد السلام عشير: ٢٥ وما بعدها.

والدافعة بين أطراف العمليات الكلاميّة[١].

ولا يخفى أنّ لخطاب الحِجاج أُطرَهُ المكوّنة من حدّه ووظيفته في تحصيل إقناع المخاطَب وطاعته وإذعانه، عَبْر مخاطبة عاطفته وخياله أو الاشتغال على الوعي واللاوعي في التعامل مع عقله، سواء أكان جمهوراً أم فرداً، ولا يؤدي اشتغاله إلا بمعرفة أبعاده الحِجاجيّة، ووظائفه البرهانية من هدم ونسف ونفي أو ترشيح أو إنشاء ومجاوزة، إذْ يعتمد منطلقاته الحِجاجيّة من الاختيار والانتحال أو العرض وطرائقه وأشكاله الخطابية التي تعدّ أجساماً إقناعية تحمل الرسالة للمخاطَب مشحونة بالحجج المقصودة والأحكام والجماعات ذوات الكفاءة والسلطان، بما ينسجم مع هيكلة الواقع وبنيته، وإحداث المماثلة وتجويز المشابهة بوجود النّصير المعين، في كون مجموعة من الحجج الرئيسة التي تُولد لحظة بدء المنشئ المتكلّم، إذْ ترسم هيكلة الخِطاب الحِجاجيّ وتأطّره، مثل حجج إعادة التّنظيم، وحجج الحدّ والتعريف، وحجج عرض البرهان وبسطه ونشره، وحجج الدمج والضّم، وحجج التمثيل والمناظرة التي تتحلى بقانون الرمز والإشارة في إيصال معنى الخِطاب الحِجاجيّ، وما يجانس الخيال من موارد الخلق لمعزّزات المعنى.

فضلاً عن سياسات المعرفة التي يحملها الخطاب وأهدافه الحقيقيّة، لتعالقه الفعل التأويلي في آفاق بيان الحقيقة، وكشف أسرار السّياق، وتشخيص النّسق العَقَديّ، وبناء العوالم الممكنة، وكتابة وثائق التأريخ الخاصّ لكونه صناعة الذاكرة البديلة، وتحديد المكتنز الرّمزي الناتج من سلطة الفاعلين الاجتماعيّين، وحركة نسيج المفهوم بفعل تأصيله القرآنيّ، وكذا بفعل الترشّح التّفسيري، بغية تجلية الحقيقة ومبتغاها، ويكوّن

(١) ينظر: في بلاغة الخطاب الإقناعيّ: محمّد العمري: ٨٨. وينظر: الحِجاج في خطابات النّبي إبراهيم عليه السلام: سعدية لكحل (رسالة): ٢٠ وما بعدها.

عَبْرها جدل التّنازع وصنّاعها، لأنّها حاصلٌ تأويليٌّ مفردٌ لسلطة المعقول الخاصّ، ويتحقّق هذا بسؤال بحثها عن المعنى ومقدرته في الوصول إلى المبتغى(١).

إذن محصّلة توجيه الخطبة بخطابها الحِجاجيّ، هي إقناع المتلقّي بما يهدف إليه الخطيب بحجّيته الاستدلالية، ولكن بقيد المواجهة التي تستدعي أن يكون هناك طرفان الأوّل هو ذو الاحتجاج على الطرف الثاني، الآخر الذي كان مُسبّباً أو سبباً في إلقاء الطّرف الأوّل احتجاجه عليه، على وفق حدثٍ ما تأخذ خطابها طابع مناسبته منه، إذْ يجترح الخطيب شكل خطبته وتركيبها اللغويّ، وسياقات فِقَرها الدلالية، وأساليبها البلاغية، وعلاقات أسرارها الجمالية من الحدث والمناسبة كليهما، وتختلف مكونات حِجاج خطبة ما عن أخرى، تبعاً لموضوعاته الاجتماعية والدينية والفكرية والأدبية والسياسية وغيرها(٢).

فكلّما كان الخطيب عارفاً بالمتلقي المخاطَب، وعالماً بمكانته على المستويات كلّها، وكاشفاً لخفيات مضمر صدره وتجلّيات ظاهره، نجح في إحداث ما يريده من تغيير عنده سلباً وإيجاباً، لأنّ استدلال خطاب الحِجاج يعتمد ثلاثة أنواع من الأدلة، هي؛ اعتماده (شخصية) المنشئ الخطيب أو غيره؛ ومعطى (محتوى) الخطاب نفسه الذي يُحمل به الشكل الحِجاجيّ ومظهره البلاغيّ لخصيصة دوره الفاعل في أنماط الحياة والاتصال، وفي فتح أبواب الخطابة وخلق وسيلة الإقناع والتأثير؛ و(**مشاعر**) جمهور النّاس المتلقّين بكونها أساس بلاغة الحِجاج والإقناع، بما يحويه كلّ موضوع حِجاجيّ من قدرة على

(١) ينظر: الحِجاج والحقيقة وآفاق التأويل: علي الشبعان: ٣٥٢-٤٨٠. وينظر: الحِجاج في خطابات النّبي إبراهيم عليه السلام: سعدية لكحل (رسالة): ١٠٤.

(٢) ينظر: النّص الحِجاجيّ العربيّ –دراسة في وسائل الإقناع-: محمّد العبد (بحث): ٤٧ وما بعدها.

الإقناع، وتحصيل حاصل كلّ حِجاج ينحصر بركيزتين، الأولى؛ قدرته على استيعاب مفهوم الاستدلال، والثانية؛ نضج البحث اللغويّ وتكامله(١).

إذْ إنّ ميزة الشكل اللغويّ والتركيب النّحويّ على الرّغم من اختلافهما ولكنّ معانيهما واحدة، والهدف من عواملهما الحِجاجية واحد، إظهار حِجاجية الملفوظ لتقوية التوجيه عَبْر الانزياح أو الانتقال أو الحركة داخل الخطاب الحِجاجيّ تقصدها شخصية المنشئ المُرسِل وسعة معرفته بالمُخاطَب لإقناعه(٢).

وأمّا سلباً فالمتلقي لخطاب الخطبة يؤثر فيه تأثراً انقلابياً نفسياً، وهو الدليل الواضح على وصول قناعة الاستدلال المطلوبة منه، والمؤشر المُبين إليه أيضاً، ممّا يبقيه في اللااستيعاب لتلك الحجيّة غفلاً أو متغافلاً، ومِنْ ثَمّ يظهر عِناده عَبْر الرفض الشيطانيّ للحقّ الذي يحمله تجاه خطاب الخطبة.

وهذا هو نفسه ما حدث مع السَّيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام في حجاج خطاب مناسبة خطبتها، إذِ الخصم وقومه غصبوا ثلاثة أمور إلهية عظيمة، هي:

أوّلاً: غصبوا مقام نبوّة خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ومكانتها، عندما قال لهم: آتوني بدواتٍ وقلم أكتب لكم كتاباً لم تضلوا من بعدي أبداً. فقال القوم: إنّ رسول الله يهجر!. وحاشا له ذلك لأنّه؛ **{ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }** (٣).

ثانياً: غصبوا خلافة الإمامة المتمثّلة آنذاك بالإمام عليّ عليه السلام وولايته،

(١) ينظر: تأريخ نظريات الحِجاج: فيليب بروتون وزميله: ٣٢. وينظر: الحِجاج في البلاغة المعاصرة: محمّد سالم محمّد الأمين الطلبة: ٣٦ و١٠١و٢٠٩.

(٢) ينظر: العوامل الحِجاجيّة في اللغة العربية: عزّ الدين الناجح (رسالة): ١١ وما بعدها.

(٣) سورة النجم، الآيتان: ٣-٤.

ورفضوا البيعة له بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، زاعمين أنّ أمر الخلافة شورى، فراحوا يأخذون البيعة جبراً وظلماً وجوراً.

ثالثاً: غصبوا منها فدكاً وهي إرثها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن أحرقوا بيتها عليها السلام وكسروا ضلعها وأسقطوا جنينها وأخذوا بعلها الإمام عليّ عليه السلام للمبايعة، غصباً لخلافته الإلهية المخصوصة المنصوصة المعينة من الله عز وجل ، وفي القوم من نادى على أحدهم عندما همّ بحرق الدار قائلاً له: إنّ في الدار فاطمة!، فأجابه الغاصب المجرم قائلاً: وإن..!. وهو يعلم مَن هي! وما مقاماتها عليها السلام في السماء قبل مقاماتها عند أهل الأرض؛ من حيث إنّها مرضية راضية يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها، ومن حيث إنَّها مهجة فؤاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وروحه التي بين جنبيه وأمّ أبيها، وزوج بطل الإسلام الخالد الغالب الإمام عليّ ابن أبي طالب عليهما السلام وأمّ سيّدي شباب أهل الجنّة الإمامين إن قاما وإن قعدا الحَسَن والحُسَيْن عليهما السلام.

فلارتباط سلب ميراثها بغصب أرض (فَدَك) وبغصب مقام أبيها النّبي مُحمّد حبيبها رسول الله العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وبغصب مقام بعلها الإمام عليّ عليه السلام في خلافة الله بالإمامة والولاية، أخذت (فَدَك) مأخذها منها بعمق، إذْ أصبحت الباب الرئيسة وراء إلقاء السَّيّدة الزهراء عليها السلام خطبتها التي حاربتْ وتصدّتْ بها من يريد تعطيل أحكام الله عز وجل ويريد القضاء على سنّة رسول الله مُحمّد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، لذا اشتهرت بالتَّسمية بها على مرّ العصور وحتى زماننا هذا بـ(الخُطَّبَة الفَدَكِيَّة).

الفصل الثالث

أسرار حقائق عنوان الخطبة وجمالية ديباجتها

المبحث الأول: أَسْرَارُ سِيمْيَاءِ العُنْوَانِ وَمُنَاسَبَتُهُ

المبحث الثاني: جَمَالِيَّةُ هَنْدَسَةِ دِيْبَاجَةِ الخُطْبَةِ وَبِنْيَتِهَا

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: أَسْرَارُ سِيمْيَاءِ العُنْوَانِ وَمُنَاسَبَتِهُ

ترتكز سيمياء العنونة على بُعْدينِ، هما:

أولاً: البُعد الموضوعي الخارجيّ

يمكننا حصر هذا البُعْد في النّقاط الآتية:

أ: إنّ الأحداث المحيطة بالسَّيّدة الزهراء عليها السلام لحظة إنشائها النّص تشكّل بناء هيكله الكلّي وتفعل بصمتها في بلورة عنوان الموضوع الحامل رسالة مضمون النّص، الذي على وفقه أُنشئ.

ب: إنّ المُتلقي الراوي المعاصر أو اللاحق بزمن السَّيّدة الزهراء عليها السلام تلقّى الأحداث التي كانت سبب انبثاق خطابها الحِجاجيّ في قريحة السَّيّدة الزهراء عليها السلام في أثناء تفاعلها الكلّي مع تلك الأحداث ومناسبتها، وما توجهه من شفرات إلى جمهور المناسبة نفسها، فيتلبس معه اندماجاً في استيعاب المناسبة فأطلق عليه عنونته السيميائية التصويرية معها.

زيادة على أنّ عقلية العربيّ منشدة انشداداً ضارباً بجذوره إلى أرضه التي يعيش فيها، والتي عاش فيها مع أحبته المقرّبين، والتي يملكها شعور عاطفته تجاهها جزء منه لا

يتجزأ، وهذا واضح للمتابع لقصائدهم الشعرية، وأجناسهم النثرية، فرمز الأرض عنده الوطن الذي لا يفارقه روحاً ووجداناً وقلباً وعقلاً، ويعني له كلّ شيء من التأريخ والخصب والاستقرار والطمأنينة وغيرها.

ج: إنّ الجمع بين النقطتين (أ ــ ب) يبرز المنطلق الواضح الجليّ للعنوان المستوحى من تلك الأحداث الدائرة على مرأى السَّيّدة الزهراء عليها السلام ومسمعها، وما انعكس على الراوي ساعة تدوينه أو دراسته اللاحقة لنصّ السَّيّدة الزهراء عليها السلام في أزمنة متعاقبة أو متتالية ونحوهما.

ولو لم يكن خروجها لمحاجّة الخصم الظالم لمقارعة الانحراف الحاصل آنذاك مرتبطاً بأرض (فَدَك) لاندثرت الحقيقة قبل الحقوق، ولأكل عليها الدهر وشرب !، إنّ أرض (فَدَك) لم تكن أرضاً عابرة، بل لها تأريخها العريق عند اليهود قبل العرب، وإلا لزيف عليها الخصم الظالم وزوّر مَعْلَمها، ولكن لم يستطع لا هو ولا الذين أتوا بعده.

ثانياً: البُعْد الذَّاتيّ الدَّاخليّ

إنّ مرجعيات تكوين علم السَّيّدة الزهراء عليها السلام وثقافتها لها الدور المركزي في بُعدها التفاعلي الشموليّ مع الأحداث ومناسباتها من جانب، ومع تكوين النّص وبنياته الظاهرة والباطنة من جانب آخر.

فما ينضح به إناء حِجاج خطابها وتكوينه يلقي بظلاله في رسم ملامح العنوان وصورته السيميائية من طرف المنشئ تارة، ومن طرف جمهور الخطاب بحسب تشخيصهم لمضامين معانيه عَبْر عبارته وإشارته ولطائفه وحقائقه، إذْ يعطيهم التشخيص الطابع المُبين لصورة عنوانه الكاشفة، في ضوء إدارة حركته داخل النّص

الواحد أو مجموعة نصوص عنوانها واحد، بكونه (الفعل الأوّل الذي يجهّز القراءة بالأدوات المطلوبة لتفكيك الشّفرات الراكزة والمنتجة للمعنى الأدبيّ في كلّ نصّ)[١].

ومِن ثَمّ فالعنوان هو المتكفّل عَبْر تحديده السياق الخاص لخطاب الإبلاغ كلّه الذي به يكون تحديد العلامات غير المتحقّقة فيه نفسه، وفي سياقه تندرج العلامة وتؤول ضمنه[٢]، وهو ما أشرنا إليه آنفاً من ارتباط اغتصاب (فَدَك) بهتك مقام النّبوة من جهة، وبغصب خلافة الله من إِمامٍ مُفترض الطاعة من جهةٍ أخرى.

وممّا تقدّم نلحظ السَّيّدة الزهراء عليها السلام في نصّ خطبتها قد شخّصت المناسبة وسببها وقطب الأحداث المترتّبة في إِثْرها، إذْ قالت عليها السلام: **«هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ يَبْتَزُّنِي نُحَيْلَةَ أَبِي وَبُلْغَةَ ابْنِي، لَقَدْ أَجْهَرَ فِي خِصَامِي، وَأَلفَيْتُهُ أَلَدَّ فِي كَلَامِي، حَتَّى حَبَسَتْنِي قَيْلَةُ نَصْرَها، وَالْمُهاجِرَةُ وَصْلَها، وَغَضَّتِ الجَماعَةُ دُوْنِي طَرْفَها؛ فَلَا دَافِعَ وَلَا مَانِعَ، خَرَجْتُ كَاظِمَةً، وَعُدْتُ رَاغِمَةً».**

إنّ (نُحَيْلَةَ أَبِي وَبُلْغَةَ ابْنِي)، هي إشارة سيميائية إلى (فَدَك) ومتعلّقات حقوقها الملازمات من الميراث.

(١) سيمياء الصورة العنوانيّة: د.حمد محمود الدُّوخي (بحث): ١٤٧.

(٢) ينظر: السيميائيات والتأويل: سعيد بنكَراد: ٨٢.

المَبْحَثُ الثَّانِي: جَمَالِيَّةُ هَنْدَسَةِ دِيبَاجَةِ الخُطْبَةِ وَبِنْيَتِهَا

إنّ لكلّ بِنية نصّ أو بِنية خطاب باختلاف جنسه وصنفه، عناصر يختصّ بها عن سائر النصوص أو الخطابات، لذا فالخطاب الحِجاجي له عناصره التي تكوّن علاقته الحِجاجيّة، وهي لا تقل عن ثلاثةٍ: قول (الانطلاق/المعطى) الديباجة ومقدمات الاستهلال، وقول (العبور) حامل الحُجّة والدّليل، وقول (الوصول) الذي فيه الخلاصة ونتيجة الحاصل الحِجاجيّ[1]، وعليه فلخطاب السيّدة الزّهراء عليها السلام ديباجته ومقدماتها الاستهلالية وهندستها وبنيتها القائمة بها، والتي تقول فيها:

«الْحَمْدُ للهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِمَا قَدَّمَ، مِنْ عُمُومِ نِعَمٍ ابْتَدَأَها، وَسُبُوغ آلاءٍ أَسْدَاهَا، وَتَمَامِ مِنَنٍ وَالاهَا، جَمَّ عَنِ الإِحْصَاءِ عَدَدُهَا، وَنَأَى عَنِ الْجَزَاءِ أَمَدُهَا، وَتَفَاوَتَ عَنِ الإِدْراكِ أَبَدُهَا، وَنَدَبَهُمْ لاِسْتِزَادَتِهَا بالشُّكْرِ لاتِّصَالِها، وَاسْتَحْمدَ إِلَى الْخَلائِقِ بِإِجْزالِها، وَثَنَّى بِالنَّدْبِ إِلَى أَمْثَالِهَا».

(١) ينظر: الحِجاج بين النّظرية والأسلوب: بتريك شاوردو: ٢١.

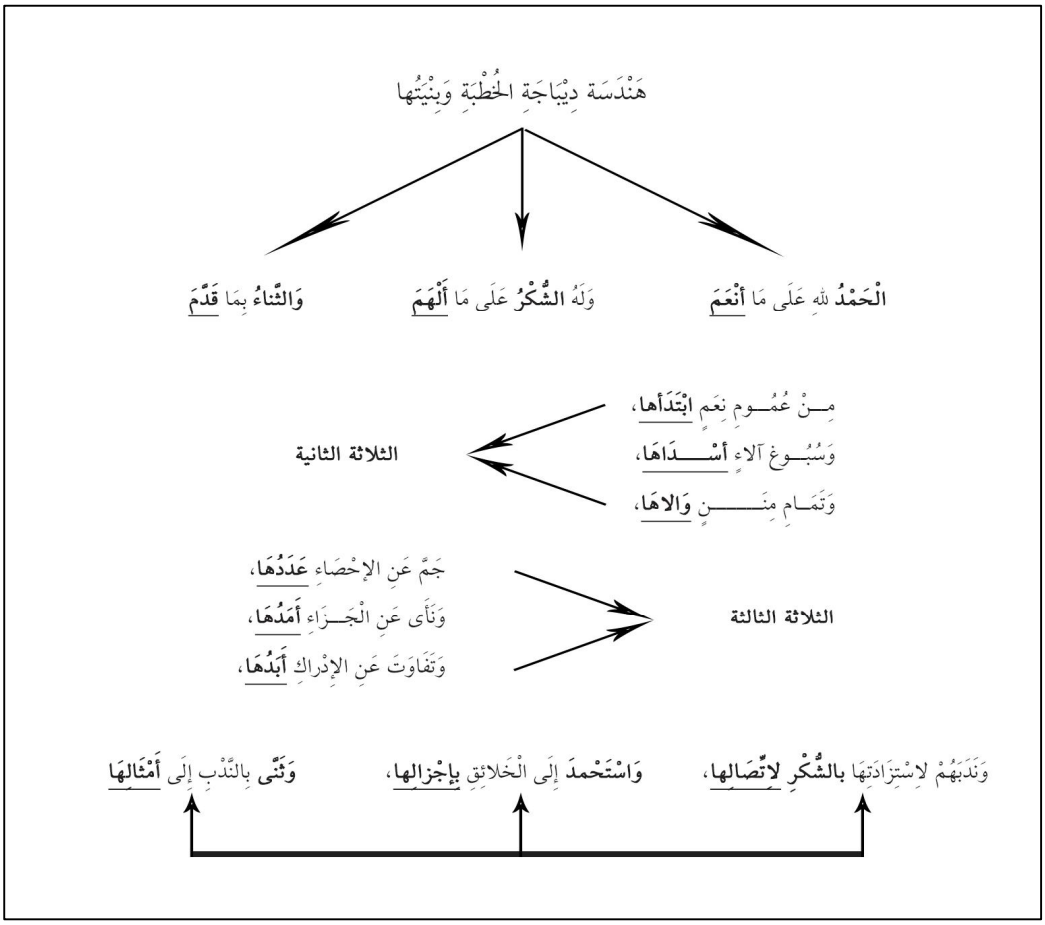

إنّ هندسة الديباجة بَنَتْها السَّيّدة الزهراء عليها السلام على أساس ثلاثية الفاصلة (المثلث الصوتيّ)، فجاءت الفاصلات الثلاث الأولى بصوت (الميم / م) = (أَنْعَمَ - أَلْهَمَ - قَدَّمَ) باختلاف الصوت السابق لرويها وهو (الميم) نفسه، فالأولى سبقه (العين /ع+م) = (أَنْعَمَ)، والثانية (الهاء /هـ+م) = (أَلْهَمَ)، والثالثة (الدال /د+م) = (قَدَّمَ). والجمع بين هذه الأصوات الثلاثة السابقة لصوت روي فاصلتها يكوّن مفردة (عهد).

وكذا سائر أصوات فاصلات الديباجة التسع ختمت بصوت روي واحد ألا هو صوت (الهاء المطلقة) المختومة بألف الاطلاق. إلّا أنّ الصوت السابق لروي الثلاث الثانية كان (الألف /أ)، والصوت السابق للثلاث الثالثة (الدال /د)، والصوت السابق للثلاث الرابعة (اللام /ل). والجمع بين الأصوات السابقة نفسها (أ+د+ل) يكوّن مفردة = (أدل)، وبهذا الرمز الصوتي ودلالته فإنّ مفردة (عهد) مع مفردة (أدل) يركّبان جملة مفيدة حملتها ديباجة الخطبة تعطي المعنى المركزي لما تريده السَّيّدة الزهراء عليها السلام أَلَا وهو دلالة قراءة الجملة على أنّها اسمية؛ (عَهْدٌ أَدَلُّ) ثبوت خلافة إمامة الأئمة المعصومين الاثني عشر، وكذا ثبوت الإرث لأولاد الأنبياء والرسل، أو بدلالة قراءتها على أنها فعلية؛ (عَهَدَ أَدَلّ) فعلية تكفّل الله عز وجل بإمامتهم مهما يمرون به من ظلمٍ وحيفٍ، من حيث إنّ الخصم الغاصب الظالم للإمامة وللإرث منهم لا يناله عهد الله، وهو ما تضمّنه قوله تعالى: { وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ }[1].

وهذا ما أشارت السَّيّدة الزهراء عليها السلام إليه في رمز سيمياء تشكيل أصوات الفاصلات الاثنتي عشرة (١٢) بمثلثها الصّوتي الذي يوافق وينسجم مع مثلث سيمياء عنوان الخطبة الصوتيّ (فَدَك):

(١) البقرة: ١٢٤.

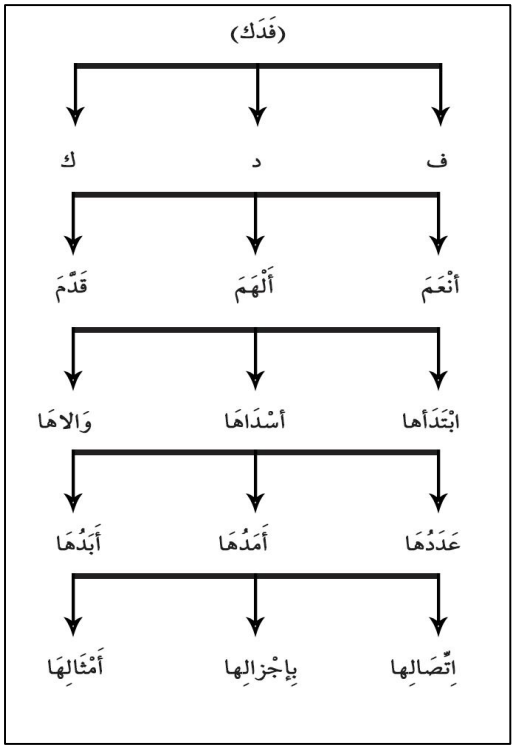

من حيث إنَّ عهد الله عز وجل لا ينال أمثال ابن أبي قحافة، ومن اشترك معه الذين أسسوا أساس الظلم على أهل البيت عليهم السلام ، وسلبوا حقّهم وغصبوا الخلافة الإلهية (الإمامة) بحيلة (الشُّورى)، ومن قبلُ هتكوا مقام خاتم الأنبياء والمرسلين بزعم (أَنَّه يهجر) وحاشا لرسول الله العظيم مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ذلك، إذْ إِنّهُ { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }[1]، وما رافقها من ظلامات وقعت على السَّيّدة الزهراء عليها السلام ، من منع إرثها وسلبه غصباً وإحراق دارها وكسر ضلعها واسقاط جنينها وأخذ بعلها. ولقد جسّدتِ السَّيّدة الزهراء عليها السلام

(١) النّجم: ٣-٤.

الإمامة المتمثلة بـ(اثني عشر إماماً) = (١٢) بفاصلات ديباجة خطبتها العصماء التي جاءت اثنتي عشرة فاصلة (١٢) وبمثلث صوتيّ، كما تقدّمت الإشارة إليه آنفاً، وهذا كلّهُ هو ما خرجت السَّيّدة الزهراء عليها السلام من أجله، وألقت خطبتها اللدنيّة العظيمة. وأثبتنا هذه الحقائق عند حديثنا عن مهاد القراءة في الخطبة ومناسبتها، وكذا هي الحال مرّ الإلماح إليها في سيمياء العنونة أيضاً.

ثمّ نلحظ أَنَّ السَّيّدة الزهراء عليها السلام بدأت ديباجة خطبتها بـ(الْحَمْد للهِ)، وتلتها بـ(الشُّكْر)، وختمتها بـ(الثَّنَاء) منذ ثالثة الثلاث الأولى، وحتى ثالثة الثلاث الرابعة. فانحصرت الديباجة بـ(الثَّنَاء) أوّلاً وأخيراً. ولا غلو فهي كفؤ القرآن الناطق بعلها الإمام عليّ عليه السلام ، ولا بدّ لها من أن تفتتح وتستهل وتبدأ خطبتها بـ(الْحَمْد للهِ) كما افتتح القرآن المنزل المرسوم واستهل به، لأنّها بحسب علمها الإلهيّ تعلم أنّ كلّ كلامٍ أو قولٍ اللذان ينتمي إليهما كلّ لفظ منشأ ومنه خطبتها، إذا لم يكونا مبتدأين بـ(الْحَمْد للهِ) يكون (أَبْتَر)، كالصّلاة على أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا لم تتبعها الصّلاة على (آلهِ) تكون (بَتْرَاء).

لذلك عطفت تالية (الْحَمْد للهِ) بـ(لَهُ الشُّكْرُ)، لأنّها أرادت بيان أنّ الذي يختصّ بـ(الْحَمْد لَهُ) وحده هو وحده كذلك (لَهُ الشُّكْرُ)، وكذا نلحظها قدّمت شِبْه الجملة (لَهُ) على الغرض المخصوص بالذكر وهو (الشُّكْرُ) لتعطي لمتلقيها اختصاص الله بـ(الشُّكْر) من بين سائر مشتركات الشكر بخلائقه جميعاً.

من هنا نرى أنّها ختمت بعد (الْحَمْد)، و(الشُّكْر)، بـ(الثَّنَاء)، لعلمها أَنَّ الذي يكون مُختصّاً بـ(الْحَمْد)، و(الشُّكْر)، وحده هو الإله الواحد الأحد الذي يستحق (الثَّنَاء) لوحده سبحانه وتعالى أيضاً. وهذا ما لا يكون لغيره من خلائقه أجمعين. لذلك

نجدها فصّلت وكفّلت وكثّفت في حشو فاصلات ديباجة خطبتها السِّت الواقعات بين الثلاث الأولى، وبين الثلاث الرابعة الأخيرة مضامين هذه المعاني العالية، إذْ أوجزتْ فيها (الحَمْد كُلّه)، (الشُّكْر كُلّه)، (الثَّنَاء كُلّه).

ومِنْ ثَمَّ نلمحها في ختام ديباجة خطبتها راجعة ذكر ما ابتدأها به، ولكن هذه المرة بتقديم (الشُّكْر للهِ) على (الْحَمْد للهِ)، وبعدهما ختمتها بفاصلتها الثانية عشرة منها بـ(الثَّنَاء) كما ختمت به في صدر استهلالها أيضاً كما أشرنا إليه آنفاً.

وما تقديمها (الشُّكْر) ختاماً إلّا لمعرفتها العرفانية أنّ الذي يكون له (الْحَمْد) أوّلاً ومختصّاً به من حيث هو مصدر (عُمُومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها)، و(سُبُوغ آلاءٍ أسْدَاهَا)، و(تَمَامِ مِنَنٍ وَالاهَا)، التي (جَمَّ عَنِ الإحْصَاءِ عَدَدُهَا)، و(نَأَى عَنِ الْجَزَاءِ أَمَدُهَا)، و(تَفَاوَتَ عَنِ الإِدْرَاكِ أَبَدُهَا)، يكون له الختام أخيراً بـ(الشُّكْر)، وهو له لأنّه ندب الخلائق لاستزادة (عُمُومِ نِعَمٍ)، (سُبُوغ آلاءٍ)، (تَمَامِ مِنَنٍ)، بـ(الشُّكْر) لاتصالها ولاستمرارها، ومِن ثَمّ (الْحَمْد للهِ) بعد الشَّكْر، لأنّ الإجزال على الخلائق مختصّ به لا بغيره، لذلك ختمت السَّيّدة الزهراء عليها السلام ديباجة خطبتها بـ(الثَّنَاء) إِذْ هو (ثَنًى بِالنَّدْبِ إِلَى أَمْثَالِهَا)، من حيث إِنّ كلّ شيء من الله عز وجل وفيه وعليه وإليه ولهُ.

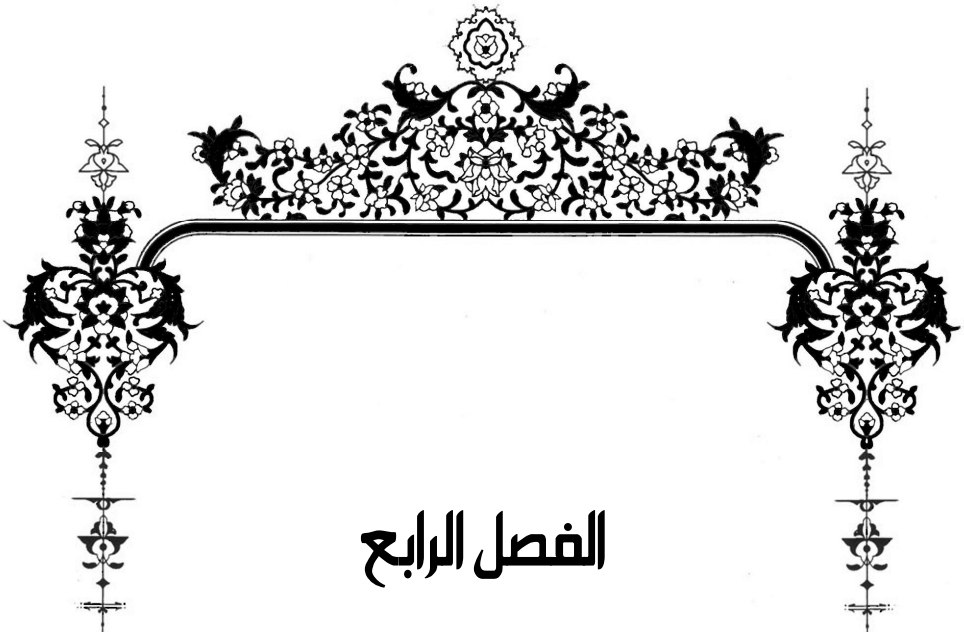

الفصل الرابع

التناسب الدلالي وتراتبه السياقي

إنّ الذي ينعم النّظر مُتدبراً في البُعد الوظيفيّ لألفاظ بِنية خطبة السَّيّدة الزهراء عليها السلام ومفرداتها، يلمح التجاوب السّياقي، والتّناغم المقاميّ، والتفاعل المعنويّ، الموظّف بدقّة في تقوية التناسب الدلاليّ وترابته السياقيّ، إِذْ من غير الممكن لأيّ متلقٍّ أن يتصرف باستبدال مفردة بدل أخرى إلّا ويلحظ انكسار المعنى الغائيّ الذي قصدته السَّيّدة الزهراء عليها السلام من وراء توظيفها إيّاه.

إِذْ إِنّ الألفاظ أو المفردات تتعاطى والمبتغى المقصود من توظيفها البنائي العامّ، ومن حملها الدلالات المنسوجة في بُعدها الغرضيّ الخاصّ فيما بينها. فتحرز قناعة المتلقي بأصنافه كافة، من تلقّيه في الوهلة الأُوْلى لها، وكذا تتجذّر القناعة عنده بتعدّد قراءاته للخطبة، وتأمله خطاب أسلوب حِجاجها أيضاً.

ولكي تتجلّى الموضوعة واضحة الإثبات، لا بُدّ من نماذج تعزّز مقام التّناسب الدّلاليّ وتراتبه السّياقيّ، منها قولها عليها السلام: **«الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ»**.

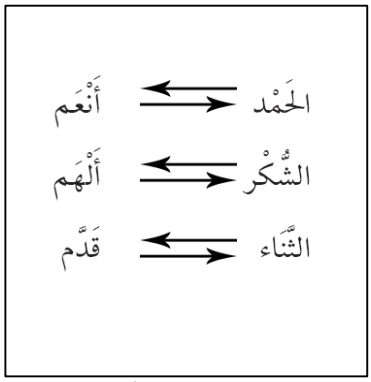

نجد هذه الكلمات (الحَمْد)، (الشُّكْر)، (الثَّنَاء)، مفاتح ديباجة الخطبة التي حملت كل واحدة مفتاح غرضها الرئيس، فنلمح أنّ السَّيّدة الزهراء عليها السلام وظّفت مفردة (أَنْعَم) قبال كلمة الحَمْد، ومفردة (أَلْهَم) قبال كلمة الشُّكر، ومفردة (قَدَّم) قبال كلمة الثَّناء، ولم توظّف واحدة بدل الأخرى في السياق نفسه، كأن تضع (أَنْعَم) مع الشّكر أو مع الثّناء، أو تغيّر المكان السياقي لمفردة (أَلْهَم) في جملة افتتاحية الحَمْد، أو في جملة الثّناء، وهكذا هي الحال بخصوص مفردة (قَدَّم). لماذا ؟، لأنّ المنعم المطلق على الخلائق كافة هو (اللهُ) وحده لا شريك له، لذلك اختصّ وحده بـ(الحَمْد)، لذلك لحظ التناسب الدلاليّ المتبادل بين (الحَمْد) و(أَنْعَم) بدءاً وختاماً وبالعكس، وكذا الحال مع (الشُّكْر) ومفردة (أَلْهَم)، إذْ إنّه على الرغم من تعارف العقلاء باشتراكه بين الخالق والمخلوق.

إلا أنّ السَّيّدة الزهراء عليها السلام كانت قاصدة الشُّكر للخالق على خلقه المخلوق قبل أن يكون الشّكر نفسه مشتركاً، لذلك لوجود لمفردة تتناسب مع هذا الشُّكر الذي تخص به الله إلّا هذه المفردة (أَلْهَم)، من هنا نجدها عليها السلام ختمت استهلال ديباجة فاتحة خطبتها عند جملة غرضها الثالثة منه بـ(الثَّنَاء) بما (قَدَّم)، لعلمها

أنّ الذي له (الْحَمْد عَلى ما أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ) وهو وحده الذي يستحقّ (الثَّناء بِما قَدَّمَ)، لذلك جاءت مفردة (قَدَّمَ) فعل ماضٍ مضعّفاً متناسباً دلالياً وتراتباً سياقيّاً مع (الثَّنَاء) الغرض الأساس، ومِنْ ثَمَّ مع (الحَمْد) بالإنعام، و(الشُّكْر) بالإلهام، (مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها)، و(سُبُوغ آلاءٍ أسْداها)، و(تَمامِ مِنَنٍ والاها). وعندها (بِما قَدَّمَ) كان (الثَّنَاء) لله أهلاً له وحده، من حيث إنّ الذي (قَدَّمَهُ) من إنعام وإلهام، والمتجليّ بما (قَدَّمَها) من (نِعَمٍ)، و(آلاءٍ)، و(مِنَنٍ)، (جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أَبَدُها).

وعَبْر هذا التناسب الدلاليّ وتراتبه السياق يكشف التراتب الغرض الغائي من تقديم السَّيّدة الزهراء عليها السلام (الحَمْد) في السياق التركيبيّ على (الشُّكْر)، وتأخير (الثَّنَاء) عنه، بعد تقدّم (الشُّكْر) عليه في توظيف تراتب البناء السياقي نفسه، كما اتضحت قصديتها آنفاً.

ومن نماذجهما كذلك قولها عليها السلام: (وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإِخْلاصَ تَأْوِيْلَهَا، وَضَمَّنَ الْقُلُوْبَ مَوْصُوْلَها، وَأَنَارَ في الْفِكْرِ مَعْقُولَها)، نلحظ أنّها وظّفت (جَعَلَ - تَأْوِيْلَهَا)، و(ضَمَّنَ - مَوْصُوْلَها)، و(أَنَارَ - مَعْقُولَها).

ومن النَّماذج قولها عليها السلام أيضاً: **«وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّدَاً صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، اخْتَارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمَّاهُ قَبْلَ أَنِ اجْتَبَاهُ، وَاصْطَفَاهُ قَبْلَ أَنِ ابْتَعَثَهُ، إِذِ الْخَلَائِقُ بِالغَيْبِ مَكْنُوْنَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهَاوِيلِ مَصُوْنَةٌ، وَبِنِهَايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُوْنَةٌ، عِلْمَاً مِنَ اللهِ تَعَالَى بِمَآيِلِ الأُمُوْرِ، وَإِحَاطَةً بِحَوَادِثِ الدُّهُوْرِ، وَمَعْرِفَةً بِمَوَاقِعِ المَقْدُورِ، ابْتَعَثَهُ اللهُ تعَالَى إِتْمَامَاً لأَمْرِهِ، وَعَزِيْمَةً عَلَى إِمْضَاءِ حُكْمِهِ، وَإِنْفَاذَاً لِمَقَادِيْرِ حَتْمِهِ».**

عند تدقيق النّظر في نصّ قولها عليها السلام نجدها منتقية من الألفاظ ومفرداتها في تشكيل التناسب الدّلالي، وكذا تراتبها السياقيّ، (اخْتَارَهُ وَانْتَجَبَهُ - أَرْسَلَهُ)، و(سَمَّاهُ - اجْتَبَاهُ)، (اصْطَفَاهُ - ابْتَعَثَهُ).

فالسَّيّدة الزهراء عليها السلام أثبتت مقامات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبيها عند الله عز وجل عَبْر توظيفها مفردات تتناسب دلالياً وسياقياً مع ما تريد إثباته من المقام العظيم للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، لذلك نجد مقامه من الرسالة عند الله تعالى (اخْتَارَهُ / انْتَجَبَهُ) إذْ جعلت قرب مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الله تعالى متجسّداً بالضمير المتصل العائد إلى الله سبحانه، وكذا الضمير المتصل نفسه مُصوّراً مقام الرسول من القرب الإلهيّ. لذلك ألحقتِ السَّيّدة الزهراء عليها السلام الاختيار والانتجاء مقاماً آخر للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أَلا وهو (التسمية والاجتباء) فقالت: (سَمَّاهُ - اجْتَبَاهُ)، إذن بعد أن اختاره وانتجبه أرسله وسمّاه واجتباه، وبعد أن (اخْتَارَهُ وَانْتَجَبَهُ وسَمَّاهُ)، (أَرْسَلَهُ و اجْتَبَاهُ)، ومِنْ ثَمَّ (ابْتَعَثَهُ) بعد أن (اصْطَفَاهُ).

لذلك نلحظ التناسب الدلاليّ في مفردات الألفاظ ومعانيها بيّناً، فـ(الاختيار والانتجاب والتسمية والاصطفاء) في حقل تناسبٍ دلاليٍّ واحد، وكذا (الإرسال والاجتباء والابتعاث) في حقل دلاليٍّ واحد أيضاً، تناسباً معنوياً وتراتباً سياقيّاً ونسقياً، وهو ما نراه في تناسب (أَرْسَلَهُ بـ/ اخْتَارَهُ و انْتَجَبَهُ)؛ و(سَمَّاهُ بـ/ اجْتَبَاهُ)؛ و(اصْطَفَاهُ بـ/ ابْتَعَثَهُ).

وهكذا في تراتب توظيف هذه المفردات دلاليّاً، إذْ إنّ السَّيّدة الزهراء عليها السلام قدّمت في الرُّتبة النّصية أو الرُّتبة التركيبية مفردة وأخّرت أخرى عليها، فقدّمتِ

الفعل (اخْتَارَهُ) على الفعل (انْتَجَبَهُ)، وأخّرتِ الفعل (سَمَّاهُ) عن سابقه، وقدّمته على الفعل (اصْطَفَاهُ)، وكذلك (أَرْسَلَهُ) على (اجْتَبَاهُ) وهذا الفعل على (ابْتَعَثَهُ)، كما يوضحه المخطّط الآتي:

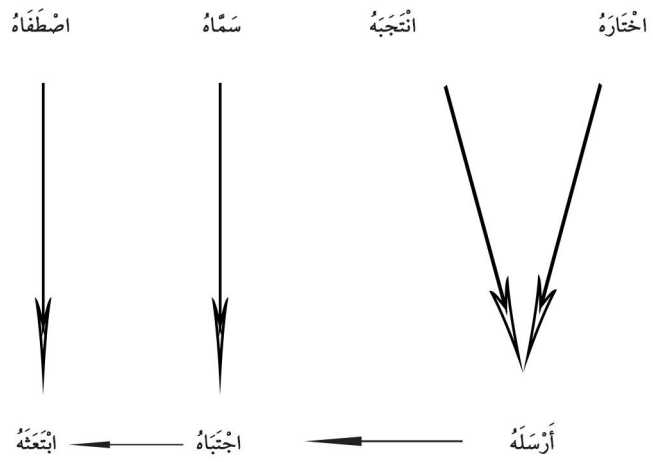

وبعد هذا قالت عليها السلام: **«إِذِ الْخَلَائِقُ بِالغَيْبِ مَكْنُوْنَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهَاوِيلِ مَصُوْنَةٌ، وَبِنِهَايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُوْنَةٌ، عِلْمَاً مِنَ اللهِ تَعَالى بِمَآيِلِ الأُمُوْرِ، وَإِحَاطَةً بِحَوَادِثِ الدُّهُوْرِ، وَمَعْرِفَةً بِمَوَاقِعِ المَقْدُورِ، ابْتَعَثَهُ اللهُ تعَالَى إِتْمَامَاً لأَمْرِهِ، وَعَزِيْمَةً عَلَى إِمْضَاءِ حُكْمِهِ، وَإِنْفَاذَاً لِمَقَادِيْرِ حَتْمِهِ».**

نلحظ التناسب الدلاليّ في مفردات النّص (بِالغَيْبِ ؛ بِسِتْرِ ؛ بِنِهَايَةِ الْعَدَمِ)، وهذه الثلاث معناها في حقل دلاليّ واحد، فـ(الغيب والستر ونهاية العدم)، كلها مجهولة العلم لأنها مختصّة بالله عز وجل وحده ولَمن أَذِن لَهُ، وأمّا الألفاظ (مَكْنُوْنَةٌ ؛ مَصُوْنَةٌ ؛ مَقْرُوْنَةٌ)، فدلالاتها متناسبة من حيث إلماح المعنى، إِذْ إِنَّ المكنون مصون والمصون

مقرون!، وكذا الألفاظ (عِلْمَاً ؛ إِحَاطَةً ؛ مَعْرِفَةً) فهي متناسبة دلالياً أيضاً، العلم إحاطة والإحاطة معرفة وهكذا، وكذا الألفاظ (إِتْمَامَاً ؛ إِمْضَاءِ ؛ إِنْفَاذَاً) فكلها تؤدي المعنى المساقة في النّص لأجله، من حيثُ إنّ الإتمام مرتبط بالإمضاء دلالياً، وكلاهما لا ينفصلان عن نتاج معنى إنفاذ كلّ شيء.

ثُمّ نجد التراتب الدلاليّ بين الألفاظ النّص نفسه، فإنّ السَّيّدة الزهراء عليها السلام وضعت (بِالغَيْبِ) مع (مَكْنُوْنَةٌ)، و(بِسِتْرِ) مع (مَصُوْنَةٌ)، و(بِنِهَايَةِ الْعَدَمِ) مع (مَقْرُوْنَةٌ). ولم تجعل تقديماً وتأخيراً بين هذا الألفاظ نفسها على الرغم من التقارب الدلاليّ بينها في السياق كأن تقول: (بِالغَيْبِ مصونة أو بستر الأهاويل مكنونة أو بنهاية العدم مكنونة ومصونة)، لعلمها عليها السلام باللغة ودقائقها، والألفاظ ودلالاتها، ولا عجب فهي ابنة أفصح العرب وأعلمهم، وزوج أبلغهم وباب العلم. ومن نماذجها كذلك قولها عليها السلام: **«وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ. كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ».**

لو دقّقنا النظر في الألفاظ (بَيِّنَةٌ - مُنْكَشِفَةٌ - مُتَجَلِّيَةٌ)، نلحظ تناسبها الدلاليّ واضحاً، فالبيّن منكشفٌ والمنكشف مُتجلٍّ، والعكس صحيح المُتجلي بيّنٌ منكشفٌ أيضاً، من هنا نرى تراتبها السياقي كذلك، إِذْ إِنّها لم تقل: (مُنْكَشِفَةٌ أو مُتَجَلِّيَةٌ بَصائِرُهُ - وبَيِّنَةٌ أو مُتَجَلِّيَةٌ سَرائِرُهُ - وبَيِّنَةٌ أو مُنْكَشِفَةٌ ظَواهِرُهُ) وإنّما ناسبت وراتبت بينها دلالياً وسياقياً في تركيب نصّها اللغويّ. وغير هذه الأمثلة كثيرة في تناسب ألفاظ الخطبة ومفرداتها الدلاليّ، وتراتبها السياقيّ كلّها.

الفصل الخامس

أصناف الآخر وملامحه في خطابها الحجاجي

المبحث الأول: الآخرُ الاسْتِثْنَائِيُّ الإِلهِيُّ الرَّحْمَانِيُّ وَمَلَامِحُهُ (حِزْبُ الله الغَالِب)

المبحث الثاني: الآخرُ الوَضْعِيُّ الأَرْضِيُّ وَمَلَامِحُهُ (حِزْبُ الشَّيْطَانِ الزَّاهِقِ)

توطئة

يشكّل الآخر في خطبة السَّيّدة الزهراء عليها السلام الفدكيّة عصب التكوين خطابها الحِجَاجيّ للخطبة كلّها، بما (يتضمنه من سياقات وإجراءات معروفة هو المحرك الرئيس لعملية الفرز والاختيار بحسب ما يقتضيه سياق كلّ خطاب، وتفاعل -مرسل ومستقبل-، وطرائق التّحليل... من حيث سياقات الخطاب المختلفة، سياق القول، وسياق الثقافة، والسياق المرجعي، وتوظيفه للكشف عن رسالة نصّه وربط خطابه بالخطابات الأخرى)[1].

ومن حيث إنّ الحِجاج بحسب مكوّنات الخطاب يتشكّل بتشكّله، وتتغيّر وظائفه وطرائقه الاستدلالية بتغيّره[2].

إذْ نجد أنّه الدافع القطب الراكز عند السيّدة الزهراء عليها السلام وراء إلقاء خطابها الحجاجيّ برمته، ويتوزع الآخر في خطبتها الفدكية في صنفين:

الأوّل: (الآخر الإلهيّ الرحمانيّ / حزب الله الغالب): الذي خرجت تناصره

(١) صورة الآخر في الخطاب القرآنيّ –دراسة نقديّة جماليّة- بالتّصرف: د.حسين عبيد الشمريّ: ٤١ وما بعدها.

(٢) ينظر: النّظرية الحِجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية: محمّد طروس: ١٤.

وتطالب بحقّه المغصوب بكونها ممثلةً له وعنه في زمن حجّتها الإلهية الرابطة موصلاً بين النّبوة والإمامة على النّاس كافّة.

ولقد أثبتتِ السَّيّدة الزهراء عليها السلام ملامح ينماز بها عن صنف ملامح الآخر؛ الذي هو الصّنف الثاني: (الآخر الوَضْعيّ الأَرْضيّ ومَلَامِحه / حِزْب الشَّيْطَان الزَّاهِق)، إذْ رسمت ملامحه التي تتمثّل صورته بها.

كلّ على وفق سُلّمه الحِجاجيّ في واقعه الحاليّ والمقاميّ، فالصنف الأول له درجات سلوكه، وكذا الصنف الثّاني له دركات سلوكه غير القويم[1]، وكما هو بيان صنفي الآخر في المبحثين الآتيينِ.

(١) ينظر: الحِجاج والمغالطة –من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار-: رشيد الراضي: ١٨. وينظر: الحِجاج في النّص القرآنيّ –سورة الأنبياء أنموذجاً-: إيمان درنوني (رسالة): ١٤٦. وينظر: الحِجاج في خطابات النّبي إبراهيم عليه السلام: سعدية لكحل (رسالة): ٦٣ وما بعدها و١٠٢.

المَبْحَثُ الأَوّلُ: الآخرُ الاسْتِثْنَائِيُّ الإلهِيُّ الرَّحْمَانيُّ وَمَلَامِحُهُ

(حِزْبُ اللّه الغَالِب)

أقطاب هذا الصّنف (الثّقلانِ) الثّقل الأوّل: (كِتابُ الله القرآن العظيم)، والثّقل الثاني: (أَهْلُ بَيْتِ النّبوةِ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم) وجهاء الله وممثّلوه والأُسوة على الخلائق بين السموات والأرض كافة؛ (أبوها الرّسول مُحَمّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم ، وابن عمّها بعلها الإمام عليّ عليه السلام، وهي زوجه فاطمة عليها السلام، وأبناؤها الحَسَن والحُسَين الإمامان إن قاما وإن قعدا عليهما السلام والأئمة المعصومون من ذرية الإمام الحُسَين عليهم السلام)، إذْ كلا الثّقلان متوقف وجود أحدهما على الآخر، كما نصّ حديث النّبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم على هذا فقال: «إِنِّي تَارِكٌ فِيْكُمُ الثِّقْلَيْنِ؛ أَحَدهُمَا أَكْبَر مِنَ الآخَرِ، كِتَابَ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلى الأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَن يَّفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ»[1].

(١) مسند أحمد بن حنبل: ١٨/٣.

ولقد شخّصتِ السَّيّدة الزهراء عليها السلام ملامح هذا الصَّنف الإلهيّ المبارك العظيم المتمثّل بـ(الثّقلين) ففي ملامح الثّقل الأوّل (كِتَاب الله القُرآن الكَرِيْم)، قالت: **«كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إسْماعُهُ. بِهِ تُنالُ حُجَجُ اللهِ المُنَوَّرَةُ، وَعَزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ المُحَذَّرَةُ، وَبَيِّناتُهُ الجالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ المَنْدوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وَشَرائِعُهُ المَكْتُوبَةُ»**.

وقالت فيه كذلك: **«وَكِتابُ اللّه بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ»**.

لذلك كانت نتيجة عرضها لملامحه المباركة قولها: **«هذا كِتابُ اللهِ حَكَماً عَدْلاً، وَناطِقاً فَصْلاً»**.

إذن فهو كتاب الله الناطق فبإضافته إلى الله أفادتْ هذه الإضافة تلازم صدوره من الذات المقدّسة، ومِنْ ثَمَّ فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فيكون ناطقاً بالحقّ المطلق الذي لا ريب ولا شكّ معه.

وكذا فهو القرآن الصادق، لأنّه - كما تقدّم- كتاب الله الناطق فهو صادق بما جاء به كلّه، من إخباره بأمور الدنيا وأحوال الآخرة. فإذا كان هو كتاب الله الناطق والقرآن الصادق بلحاظ ما أوجزنا القول فيهما، فتحصيل الحاصل تكون سائر ملامحه الواردة في قول السَّيّدة الزهراء عليها السلام ثابتةً متحقّقةً على طوال العصور والدهور كلّها.

أمّا ملامح الثّقل الثّاني من الصّنف الأوّل (عِتْرَة أَهْل البَيْت الطَّاهِرَة عليهم السلام)، فلقد ابتدأها بالرّسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أبيها إذْ قالت:

«وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبي مُحَمَّداً صلّى الله عليه وآله عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجْتَبَاهُ، وَاصْطفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ، إذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهَاويل مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْماً مِنَ اللهِ تَعالى بِمآيِلِ الأُمُور، وَإحاطَةً بِحَوادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَواقِعِ الْمَقْدُورِ. ابْتَعَثَهُ اللهُ تعالى إتْماماً لأمْرِهِ، وَعَزيمَةً على إمْضاءِ حُكْمِهِ، وَإنْفاذاً لِمَقادِيرِ حَتْمِهِ. فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً في أدْيانِها، عُكَّفاً على نيرانِها، عابِدَةً لأوثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها. فَأنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلّى عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها، وَقامَ في النّاسِ بِالهِدايَةِ، وأنقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، وهَداهُمْ إلى الدّينِ القَويمِ، وَدَعاهُمْ إلى الطَّريقِ المُستَقيمِ. ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إلَيْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاخْتِيارٍ، ورَغْبَةٍ وَإيثارٍ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله عَنْ تَعَبِ هذِهِ الدّارِ في راحةٍ، قَدْ حُفَّ بالمَلائِكَةِ الأبْرارِ، وَرِضْوانِ الرَّبِّ الغَفارِ، ومُجاوَرَةِ المَلِكِ الجَبّارِ. صلى الله على أبي نبيِّهِ وأَمينِهِ عَلى الوَحْيِ، وَصَفِيِّهِ وَخِيَرَتِهِ مِنَ الخَلْقِ وَرَضِيِّهِ، والسَّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ».

وقالت عليها السلام: «فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعاً بِالنِّذارَةِ، مائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِباً ثَبَجَهُمْ، آخِذاً بِأكْظامِهِمْ، داعِياً إلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، يَكْسِرُ الأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوا الدُّبُرَ».

هو (المُنْقِذ) لقولها عليها السلام: «فَأنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صَلى الله عليه وآله بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي».

وقولها عليها السلام: «فَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ، وَ الزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيامَةُ... أَتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ صلّى الله عليه وآله؟! فَخَطْبٌ جَليلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، وَاسْتَنْهَرَ

فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ، وَأَكْدَتِ الْآمالُ، وَخَشَعَتِ الْجِبالُ، وَأُضِيعَ الْحَرِيمُ، وَأُزِيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَماتِهِ. فَتِلْكَ وَاللهِ النّازِلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصِيبَةُ الْعُظْمى، لا مِثْلُها نازِلَةٌ وَلا بائِقَةٌ عاجِلَةٌ أَعْلَنَ بِها كِتابُ اللهِ -جَلَّ ثَناؤُهُ- فِي أَفْنِيَتِكُمْ فِي مُمْساكُمْ وَمُصْبَحِكُمْ هِتافاً وَصُراخاً وَتِلاوَةً وَإِلحاناً، وَلَقَبْلَهُ ما حَلَّ بِأَنْبِياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضاءٌ حَتْمٌ... ما كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله عَنْ كِتابِ الله صادِفاً، وَلا لِأَحْكامِهِ مُخالِفاً، بَلْ كانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَيَقْفُو سُورَهُ... أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي؟».

وبعده تتلو ملامح أخيه وابن عمّها الإمام عليّ عليه السلام التي هي مشتقّة نابعة من ملامح الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فتقول: **«أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي؟».**

ثمّ تشفعها بقولها: **«وَأخا ابْنِ عَمَّي دُونَ رِجالِكُمْ، وَ لَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إِلَيْهِ صَلى الله عليه وآله»**، حتى تصل محدّدة بصمات ملامحه الخاصّات به عليه السلام التي كان رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم يخصّه بها بنفسه، فتقول: **«وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، {كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَها اللهُ} ، أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قَذَفَ أَخاهُ فِي لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً فِي ذاتِ اللّهِ، مُجْتَهِداً فِي أَمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللّهِ سَيِّدَ أَوْلِياءِ اللّهِ، مُشَمِّراً ناصِحاً، مُجِدّاً كادِحاً».**

حتّى تلتفت مُبيّنةً للإمام عليّ عليه السلام مشيرةً إلى الظالم الرئيس للظلم (ابن أبي قحافة)، ولتذكر بعد الإشارة إليه قطيبينِ آخرينِ من عترة الشجرة الطيّبة هما؛ (الإمامانِ الحَسَنَانِ عليهما السلام) ابناها بكونهما الوريثين الشرعيين من جدهما رسول

الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم من حيث إنَّ نُحَيْلة إرثها من أبيها هي في النتيجة بلغة أبنائها، فتقول: **«هذا ابْنُ أبي قُحافَةَ يَبْتَزُّني نُحَيْلَةَ أبي وَبُلْغَةَ ابْنَي».**

وعَبْر بيانها ملامح أقطاب (الثِّقْلينِ العَظِيْمينِ) التي هي سرّها المستودع فيها، تأتي بذكر نفسها لتعلم النّاس كافة أنّها ترجمان كتاب الله الناطق وقرآنه الصادق، وأُمّ أبيها رسول الله العظيم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وزوج بعلها الإمام عليّ عليه السلام خليفة رسول الله الذي هو عالم بخصوص القرآن وعمومه، لأنّه باب مدينة علْمه، ونفسه وأخاه كما جاء كلام الله في كتابه العظيم: **{ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ }** [1]، فتقول: **«أيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أنّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».**

فسياق خطابها الحجاجيّ فيه إيحاء أنّ النّاس الذين خصّتهم بقولها: **«اعْلَمُوا أنّي فاطِمَةُ»**، هم يعلمون أنّها مَن تكون؟! وإلى أيّ بيتٍ تنتسب؟!، وكأنّها أرادت تذكيرهم وتوبيخهم بفعلهم الشيطانيّ المنحرف الباطل، من حيثُ هم مع مَن هم يقفون بالضّد والحرب والظلم ؟!، لتلقي عليهم الحُجّة التّامّة.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

المَبْحَثُ الثَّانِي: الآخرُ الوَضْعِيُّ الأَرْضِيُّ وَمَلَامِحُهُ

(حِزْبُ الشَّيْطَانِ الزَّاهِقِ)

يقابل هذا الآخر وهو الصّنف الثاني الذي ذكرته السَّيّدة الزهراء عليها السلام الآخر الإلهيّ الرحمانيّ آنف الذكر. وهذا الآخر الوضعي الشيطانيّ له أولياؤه الذين حدّدت لهم ملامحهم التي ينمازون بها، وهم: (الزّاعمون أنّهم عِبَادُ الله تَعالى) وملامحهم أنّهم أَصحاب رياء بكونهم عباد الله وأنّهم نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء على أنفسهم، وهم المنصوص عليهم بتبليغ الرسالة إلى الأمم، على ما يزعمون أنّهم أهل حقّ من الله منزل فيهم بعهد مقدّم إليهم، والخلاقة لهم ولمن يريدون من بقيتهم كما زعموا!

من هنا جاء خطابها التقريعي لهم بزيف ريائهم وبطلان زعمهم، وملازمتهم للشّيطان وأوليائه، حتى أصبحوا هم أنفسهم شياطين بمقتضى تلك الملازمة للشيطان[1]، فقالت لهم: **«أَنْتُمْ عِبادَ الله نُصْبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دينِهِ وَوَحْيِهِ، وَأُمَناءُ اللهِ عَلى**

(١) ينظر: صورة الآخر في الخطاب القرآنيّ: ١٣١ وما بعدها.

أَنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إلى الأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقٌّ لَكُمْ للهِ فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ».

ومن ثَمّ يأتي وليٌّ آخر ذكراً من أولياء هذا الصّنف في سياق خطابها؛ (النّاس الذين غرهم الدنيا بزينتها وزخرفها فركبهم الشيطان)، فكان خطابها لهؤلاء الناس الذين فضّلوا حطام الدنيا على الحق وأهله، فقالت لهم: **«مَعاشِرَ النّاسِ المُسْرِعَةِ إِلى قِيلِ الباطِلِ، المُغْضِيَةِ عَلى الفِعْلِ القَبيحِ الخاسِرِ {** أَفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ أَمْ عَلى قُلوبٍ أَقْفالُها **} كَلاّ بَلْ رانَ عَلى قُلوبِكُمْ ما أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصارِكُمْ، وَ لَبِئْسَ ما تَأَوَّلْتُمْ، وَساءَ ما أَشَرْتُمْ، وشَرَّ ما مِنْهُ اعتَضْتُمْ، لَتَجِدَنَّ - وَاللهِ - مَحْمِلَهُ ثَقيلاً، وَغِبَّهُ وَبيلاً إِذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَراءَهُ الضَراءُ، {** وَبَدا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ما لَمْ تَكونوا تَحْتَسِبونَ **}** وَ **{** خَسِرَ هُنالِكَ المُبْطِلونَ **}».**

وواضح من قولها دقّة تشخيص السَّيّدة الزهراء عليها السلام لملامح هذا الولي من حيث هم مسرعون إلى قيل الباطل، غاضّون أبصارهم عن محاربة الفعل القبيح وإصلاحه، ولا تدبّر عندهم للقرآن بسبب أنّ قلوبهم رآن عليها لسوء أعمالهم، والله آخذ بسمعهم وأبصارهم فهم صمّ بكم عمي، وأهل تأويل منحرف لأنهم لا يتدبرون القرآن بتعمدهم تركه، لذلك أساءوا الإشارة والمشورة، وقدّموا الشَّر في الشَر في أعمالهم الخبيثة كلّها.

وبعده يأتي وليّ شيطانيّ آخر تدخله السَّيّدة الزهراء في دائرة آخر الصّنف الثاني أيضاً، وهم (المُسْلِمُون)؛ إذْ قصدتْ بخطابها لمن هم مسلمون وينبغي عليهم اتباع مبادئ الإسلام الحنيف والالتزام بأوامره وطاعة نواهيه لذلك التفتتْ معرّجةً مباشرةً بخطابها إلى (ابن أبي قحافة) وبأسلوب الاستفهام الإنكاري، لكونه رئيس الأولياء: **«أَيُهَا**

الْمُسْلِمونَ أُغْلَبُ عَلى ارْثِيَهْ يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ؟!».

ومِنْ ثَمَّ تخصّص ملامح هذا الرئيس المركز (ابن أبي قحافة) في افتعال الأحداث كلّها بصورة خصوص الخصوص بكونه مخطط دائرة الظلم كلّها على الثقل الثاني عدل الثّقل الأوّل كتاب الله القرآن من الصّنف الأوّل الآخر الإلهيّ الرحمانيّ عترة أهل بيت النّبوة عليهم السلام ، فتقول له منكرة باستفهامها عليه فعله الظالم منعها إرث أبيها رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم: **«يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ؟! أفِي كِتابِ اللهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، ولا أرِثَ أبي؟، { لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيًّا }** [1]**، أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ؟».**

فالسَّيّدة الزهراء عليها السلام بقولها إياه هذا تكشف حقيقة ملامح رئيس الصّنف الثاني على أنّه عاصٍ لله في ترك حكمه الإرثيّ في كتابه القرآن ومنعها وغصبه لصالح مصالحه الشخصية له ولحزبه الشيطانيّ فجعل لنفسه حقّ إرث أبيه أبي قحافة، ومنعها منه افتراءً أوّلاً، وعلى أنّه هو وقوم حزبه تعمّدوا بإرادتهم معاندين تركهم كتاب الله ونبذوه وراء ظهورهم ثانياً، وعلى أنّهم كانوا يعلمون مَن هي السَّيّدة الزهراء عليها السلام وما مقام علمها من خصوص القرآن وعمومه من حيث هي مقامها واقعٌ بين مدينة العلم أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وباب مدينة العلم نفسها بعلها المنصوص عليه بوصي الرسول وخليفته الإلهيّ الإمام عليّ عليه السلام ، لذلك فعلوا قوم حزب الشيطان ما فعلوا في ظلم أهل البيت عليهم السلام عامة، وفي ظلامة السَّيّدة الزهراء عليها السلام بخاصّة ثالثاً.

حتّى أنّها عليها السلام أكّدتها في موضع آخر من خطبتها العظيمة بخطاب قولها:

---

(١) سورة مريم، الآية: ٢٧.

«وَكِتابُ اللّه بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، أ رَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟، { بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً } ، { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ } ».

نلحظها عليها السلام قد اردفت مفردة الفعل (تَرَكْتُمْ) والأخرى (نَبَذْتُمُوهُ) في خطاب قولها السابق لهذا بمفردة جديدة أَلَا وهي (خَلَّفْتُمُوهُ) التي منحت قوة تعبيرية لمعنى ملامح الخصم الظالم، الحاكم بغير كتاب الله القرآن الحكيم، والمتّبع غير الإسلام.

من هنا كان عرض شكواها على بعلها أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام ، قائلةً له ومشيرةً إلى ظالمها رئيس الحزب / المركز: **«هذا ابْنُ أَبي قُحافَةَ يَبْتَزُّنِي نُحَيْلَةَ أَبي وَبُلْغَةَ ابْنَي»** نلحظ أنّ السَّيّدة الزهراء عليها السلام وظّفت الفعل المضارع الدال على الاستمرار والتّجدّد أَلَا هو (يَبْتَزُّنِي) إذْ يستوعب دلالات الظلم العظيم كلّها الواقع عليها من ابن أبي قحافة من منع وسلب وسرقة وإيذاء وعناد[(١)]، من هنا نجدها تلته بصيغة التصغير لمفردة (نُحَيْلَة) لتعطي في أثنائها دلالة تعضيدية على تعظيم فعله الشنيع بحقّها وبحق أبنائها، فألحقتها بتعبيرها المعلوم (بُلْغَةَ ابْنَي) لتعطي دلالة تأكيدية على علم الظالم أنّ أبناءها هم الورثة الشرعيين من رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لكونه جدّهم النّسبي عَبْر رحمها الطاهر المُطهّر عليها السلام.

ثُمّ تلتفت بخطابها إلى (فِتْيَة القَوْم) الحاضرين الميّالين إلى مناصرة رئيس الظلم ــ المركز وحزبه الشيطانيّ: **«يا مَعاشِرَ النَّقِيبَة، وَأَعْضادَ الْمِلَّةِ، وَأَنْصارَ الْإِسْلامِ! ما هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقّي؟! وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟!».**

(١) - ينظر: صورة الآخر في الخطاب القرآنيّ: ١٩٢ وما بعدها.

إذْ خصّت السَّيّدة الزهراء عليها السلام (مَعاشِرَ النَّقِيْبَة) بخطابها لعلمها أنّها في عنفوان طاقتهم العمرية، وطاقتهم العقلية، فلا يكون التغيير والإصلاح الإلهيّان في أهل المِلة ومجتمع الإسلام إلّا بهم، ولانفتاحهم على مغريات الحياة وزخرفها وزبرجها، والخصم الظالم أغراهم بأمانيه الزائفة الباطلة عن جادة الحق.

من هنا نرى أنّها شكّلت تعبير خطابها بأسلوب النّداء الاسترجاعي لأنفسهم حمله استفهام التوبيخ وإنكار موقفهم المتعاطف مع الخصم الظالم نفسه (ما هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقّي؟! وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟!). فأرادت عليها السلام من ورائه القول لهم إنّ الله تعالى خلقكم وجعلكم (النَّقِيْبَة) لتكونوا (أَعْضادَ الْمِلَّةِ)، و(أَنْصارَ الْإِسْلامِ)، لا لأجل أنّ تحاربوا حقّ الله مِلته وإسلامه وأهله، فشجبت فعلهم في حقّها وظلامتها بمفردتين متبادلتين دلاليّاً تعرّيهم وتكشف تمثل صورتهم الخفية للتأريخ وعصوره كلّها، هما:

الأولى: (الْغَمِيزَةُ): وتكوين حركة وجودها من جزئية مجاورة جفن العين بملازمة تقلّب الطرف ونابعة منها والإنسان بإرادته ووعيه يفعلها، وهي تدل على إرادتهم في الوقوف مع الخصم الظالم في منع حقّها.

والثانية: (السِّنَةُ): وتتحقق إماءات علامتها على العين وجفنها ولونها بفعل مؤثّر خارج سيطرتها، وهذا يدل على أنّهم بسبب غميزتهم بحقّها عليها السلام وقعوا تحت سيطرة الخصم الظالم فتأثروا به فأصابتهم (السِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي) ولم يبالوا في الدفاع عنها وعن حقّها من إرث أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد قصدت السَّيّدة الزهراء عليها السلام توظيف المفردتين من لغة الجسد، لأنّهما تجسدان قوة معنى تعبيرها في ملامح هذا الآخر، وسلوكه في التعامل معها ومع الحدث في التواطؤ للخصم الظالم بمقتضى حال المناسبة أيضاً. وفي الوقت نفسه تكشف

حقيقة القوم الشيطانية من حيث إنّ (الْغَمِيزَة)، و(السِّنَة) سيمياء واضحة من علامات أولياء الشيطان والضعف أمامه والطاعة والتسليم في اتباع خطوات خططه الباطلة.

ومِنْ ثَمَّ تتوجّه بخطابها التعريفيّ إلى (بَنِي قَيْلَةَ) بأسلوب التقريع والتوبيخ وبنداء الهجاء المتعارف في أساليب العرب في زمن الخطبة ومناسبتها، لتقاعسهم وقعودهم عن نصرة الحقّ وأهله، فتقول لهم: **«أَيْهاً بَنِي قَيْلَةَ! أَاُهْضَمُ تُراثَ أَبِيَهْ وَأَنْتُمْ بِمَرْأى مِنّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الْخَبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجيبُونَ، وَتَأْتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلاحِ، وَالنُّجَبَةُ الَّتي انْتُجِبَتْ، وَالْخِيَرَةُ الَّتِي اخْتيرَتْ! قاتَلْتُمُ الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَناطَحْتُمُ الأُمَمَ، وَكافَحْتُمَ الْبُهَمَ».**

بهذا البيان الجليّ الذي حمله خطاب السَّيّدة الزهراء عليها السلام، يثبت أنّ (بَنِي قَيْلَةَ) سقطوا في حبائل الشيطان وتلبسوه ودخلوا في حزبه، لانهزامهم من نصرة الحقّ وأهله المتمثل بسيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام في زمن إلقاء خطبتها العصماء، وموفقهم الانهزامي هذا أدّى إلى محو تأريخهم المجيد وذهابه - الذي عرّفتهم به السَّيّدة الزهراء عليها السلام في خطابها الآنف لهم -، فرسبوا بالامتحان الإلهيّ لهم في نصرة حقّ الله وأهله، كما وقع شخوص الصّنف الثاني من هذا الآخر في شباك حزب الشيطان وأوليائه، فقال تعالى: **{** إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ **}** [1]، وبحسب دلالة سياق تعبير الآية القرآنيّة، وما جسّدته السَّيّدة الزهراء عليها السلام في نصّ خطابها بحقّ شخوص هذا الآخر الشيطانيّ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

من الصنف الثاني، يكون تأكيد التأكيد أنّهم لم يكونوا مؤمنين.

وبعد هذا التفصيل التصويريّ الدقيق لكلّ شريحة من شرائح شخوص هذا الآخر، تصل السَّيّدة الزهراء عليها السلام إلى إعطاء صورة متكاملة الزوايا للتأريخ الإنسانيّ كلّه، تضمّ الملامح العامّة المشتركة بين شخوص حزب هذا الآخر، إذْ هم متوافقون عليها في سكناهم وحركاهم كلّها، حتّى أصبحوا كالخاتم في إصبع الشيطان وأداته لتسافلهم الروحي والقلبي والنّفسي والفكريّ بدءاً من زمن نبوة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعدها في زمن إمامة بعلها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وصولاً إلى زمن حجّتها عليهم عليها السلام.

فتبدأ قائلة لهم: **«فَلَمَّا اخْتارَ اللّهُ لِنَبِيِّهِ دارَ أَنْبِيائِهِ وَمَأْوى أَصْفِيائِهِ، ظَهَرَ فيكُمْ حَسيكَةُ النِّفاقِ وَسَمَلَ جِلْبابُ الدّينِ، وَنَطَقَ كاظِمُ الْغاوِينِ، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقَلّينَ، وَهَدَرَ فَنيقُ الْمُبْطِلينَ»**.

ومِنْ ثَمّ تصوّر درك تسافلهم مع الشيطان وحزبه، وعمق علاقتهم التفاعلية التجاوبية المتبادلة بعضهم بالآخر، فتقول: **«فَخَطَرَ فِي عَرَصاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشَّيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتفاً بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فيهِ مُلاحِظينَ. ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافاً، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ غِضاباً، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ، هذا وَالْعَهْدُ قَريبٌ، وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ، وَالْجُرْحُ لَمّا يَنْدَمِلْ، وَالرَّسُولُ لَمّا يُقْبَرْ، ابْتِداراً زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، {** أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ **}»**.

نجد السَّيّدة الزهراء عليها السلام متتبعة بدقة عالية رسم ملامح أفعالهم وسلوكهم، وتبعات الأحداث التي ارتكبوها، إذْ تقول: **«سَرْعانَ ما أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلانَ**

ذا إهالَةً، وَلَكُمْ طاقَةٌ بِما اُحاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلى ما أَطْلُبُ وَأُزاوِلُ! أَتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ صلّى الله عليه وآله؟! فَخَطْبٌ جَليلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ، وَأَكْدَتِ الْآمالُ، وَخَشَعَتِ الْجِبالُ، وَاُضيعَ الْحَرِيمُ، وَاُزيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَماتِهِ. فَتِلْكَ وَاللهِ النّازِلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصيبَةُ الْعُظْمى، لا مِثْلُها نازِلَةٌ وَلا بائِقَةٌ عاجِلَةٌ أَعْلَنَ بِها كِتابُ اللهِ - جَلَّ ثَناؤُهُ - فِي أَفْنِيَتِكُمْ فِي مُمْساكُمْ وَمُصْبَحِكُمْ هِتافاً وَصُراخاً وَتِلاوَةً وَإِلحاناً، وَلَقَبْلَهُ ما حَلَّ بِأَنْبِياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضاءٌ حَتْمٌ: { وَما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشّاكِرِينَ } ».

ثمّ تشخّص عيشهم والأمن والأمان والرفاه الذي صنعوه لحزبهم الشيطاني خلاف ما كانوا عليه من موقف سلبي مشؤوم في زمن احتياج رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرجال لقتال أعداء الإسلام، في قبال حربهم على آل بيت رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بعد استشهاده، فتكشف حقيقة حسيكة النفاق فيهم بكونهم هم العدو نفسه في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحتى يومها الذي خرجت فيه واجدة على رئيس الحزب الظالم / المركز وحزبه أولياء الشيطان، وتخاطبهم بقولها: **«وأَنْتُمْ فِي رَفاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادِعُونَ فاكِهُونَ آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنا الدَّوائِرَ، وتَتَوَكَّفُونَ الأَخْبارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزالِ، وَتَفِرُّونَ عِنْدَ القِتالِ».**

فعطفت على قولها هذا خطابها الذي اكتنز بتكثيف معاني ملامحهم فجمع تفصيلات غرض الخطبة في معظمه من نصرهم للباطل وموقفهم المعادي للحقّ وأهله، إذْ قالت: **«ثُمَّ أَخَذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَها، وَتُهَيِّجُونَ جَمْرَتَها، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهِتافِ الشَّيْطانِ**

الْغَوِيِّ، وَاطْفاءِ أَنْوارِ الدِّينِ الْجَلِيِّ، وَاهْمادِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ، تُسِرُّونَ حَسْواً فِي ارْتِغاءٍ، وَتَمْشُونَ لأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ فِي الْخَمَرِ وَالْضَّراءِ».

حتى أنّها تنكر اجتماع حزبهم لنصرة باطل الشيطان فسوّلت لهم أنفسهم فعل المحرمات، وعَبْر خطاب حِجاج استفهامها التوبيخي الإنكاري على مواقفهم وسلوكياتهم كلّها التي سكبتها في رسم ملامحهم تجسّدت بها صورتهم الجليّة، فتقول: **«أَفَتَجْمَعُونَ إلى الْغَدْرِ اْغتِلالاً عَلَيْهِ بِالزُّورِ ؛ وَهذا بَعْدَ وَفاتِهِ شَبِيهٌ بِما بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوائِلِ فِي حَياتِهِ. هذا كِتابُ اللهِ حَكَماً عَدْلاً، وَناطِقاً فَصْلاً، يَقُولُ: {** يَرِثُني وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ **}** ، **{** وَوَرِثَ سُلَيْمانَ داوُدَ **}** **فَبَيَّنَ عَزَّ وَجَلَّ فيما وَزَّعَ عَلَيْهِ مِنَ الأَقْساطِ، وَشَرَّعَ مِنَ الفَرائِضِ وَالمِيراثِ، وَأَباحَ مِنْ حَظِّ الذُّكْرانِ وَالإِناثِ ما أَزاحَ عِلَّةَ المُبْطِلِينَ، وأَزالَ التَّظَنِّي وَالشُّبُهاتِ فِي الغابِرِينَ، كَلاّ {** بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ المُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ **}** **».**

وفي النتيجة بيّنتِ السَّيّدة الزهراء عليها السلام لأصحاب هذا الصّنف الثاني المتمثّل بحزب الشيطان كما كشفتهم هي عليها السلام بنفسها في رسم ملامهم كلّها أَنَّهم في دائرة القوم الذين حاربوا وعاندوا وعصوا الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، في خلال قولها: **«وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ»**، أي: إنّ القوم أبناء القوم في أفعال الخبيثة وحربهم على الثقلين معاً حتى يوم الوقت المعلوم.

قصدتِ السَّيّدة الزهراء عليها السلام المنهج القرآنيّ من وراء ذكرها الآخر في قبال ذكر الآخر الحقّ (الأنبياء والرسل وأوصيائهم)، وكذا الآخر عدو الله وعدوهم الذين هم كفرعون الذي طغى وفعل ما فعل مع أهل الله في زمانهم لتثبيت الحقوق

وحفظها، وتوثيق الحقائق وصونها من الزيف والتحريف، من هنا يتبيّن أَنّ رسم السَّيّدة الزهراء عليها السلام لملامح الآخر الإلهيّ الرحماني تأكيد حقّه وحقوقه وحفظها التي نصّت عليها النّصوص الإلهية المخصوصة به، وكذا الآخر الخصم الظالم من حزب الشيطان لأهل الله النجباء عليهم السلام المتعدي الحدود الإلهية، إذْ سلبهم حقّهم وحقوقهم. لذلك فهي ذكرت الصنفين معاً، وأعطت لكلّ واحدٍ منهما ملامحه الدقيقة به والمتجسّدة فيه أيضاً.

فالسَّيّدة الزهراء عليها السلام لم تذكر أحدهما وتترك الآخر، والسّر من وراء هذا لكي لا يختلط الأمر على الناس، وتضيع الحقوق والحقائق، وبعدها يأتي التأريخ الذي هو عبدٌ لأموال الظالمين المُبطلين الفاسدين الشياطين، وسياستهم القمعية المنحرفة الفاسدة الناتجة منهم، ويجعلهم أهل الحق الشرعيّين، ويُسْتَبْعَد أهل الحقّ الإلهيّ، وفي ضوء هذه التداعيات حوى خطابها الحجاجيّ الآخر بملامحه وتفصيلات صورته الموصوفة بدقةٍ فائقة.

الفصل السادس

تشخيصها عليها السلام القرآني لعلاقة الآخر بالشيطان

إنّ من لزوميات النّص الأدبيّ بعامّة، والخطاب الحِجاجيّ بخاصّة، في كشف أسرار تكامل تكوين بنيته بجنبتيها السطحية والعميقة، وإبلاغ رسالته للمتلقّي بأكمل وجه، هي: نضج لغة أسلوبه، وحذاقة التصوير وكماله، وتناسب تشكيل تركيبه مع المناسبة والغرض، وكذا تجاوب مفرداته مع مقتضى حال المنشئ والظروف والأحداث المحيطة به، ودقّة تشخيص الآخر (سبب النّص ومُسبب مناسبته)، سواء أكان عاقلاً فيشخّص علاقته بغير العاقل المرئي واللامرئي على نحو الفرد الواحد أم على نحو الجماعة الأفراد، أو كان غير العاقل فيشخّص وجوده بالعاقل على نحو وحدة الوجود بينهما في مكان ما أو على نحو تمثّل رؤية المنشئ فيراه عاقلاً!، هذا على معيار خلق العوالم المتخيّلة المتوهّمة في النّص الإبداعيّ بعمومه.

أمّا في النّص الاستثنائي المعصوم القرآن الكريم والأنبياء والأئمة فالتشخيص فيه يكشف حقيقة انعكاس رؤية المعصوم في اللامرئي المخفي المخبوء عند الآخر مُسبب مناسبة النّص وسببه مع المرئي الحامل لازدواجية حقيقة اللامرئي نفسه بسلوكه الذي خدع وزيف به سائر جمهور النّاس العوام. وهنا تتجلى أهمية الخطاب الحِجاجي الذي تُكشف فيه قيمة أفعال الذوات المتخاطبة ومكانتها، فضلاً عن مواضع تركيبه التي

يحويها خطاب لغته الحِجاجية المُبيِّنة الكاشِفة[١].

من هنا تُبان جمالية تشخيص السَّيّدة الزهراء عليها السلام علاقة الآخر بالشيطان في خطبتها، إذْ إنّها شخّصها تبعاً لتشخيص القرآن العظيم لها، ومعيار انطباق ملامح علاقة الآخر بالشيطان مع التشخيص القرآنيّ لها جعله مصداقاً جليّاً من مصاديقها القرآنية التي شخّصها اللهُ فيه، لأنّه ﴿ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٢].

وإذا كان الإمام عليّ عليه السلام هو القائل: **«أَنَا عَيْنُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، أَنَا لِسَانُ اللهِ النَّاطِقُ فِي خَلْقِهِ، أَنَا نُورُ اللهِ الذِي لَا يُطْفَأُ، أَنَا بَابُ اللهِ الذِي يُؤْتَى مِنْهُ وحُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ»**[٣].

فالسَّيّدة الزّهراء عليها السلام هي (عَيْنُ اللهِ فِي أَرْضِهِ.. نُوْرُهُ الذِي لَا يُطْفَأُ)، لأنّها كفؤه (نُوْرٌ عَلَى نُوْرٍ) التي اختارها اللهُ له، وعالمة بخصوص القرآن وعمومه مثله، وسرّ تسميتها بـ(الزَّهْراء)، لأنّ الله خلقها (مِشْكَاةَ نُوْرِهِ وَمَثَلَهُ)، وعليه فهي عليها السلام ترى بـ (نُوْرِ الله) في تعاملها مع الآخر وفي تشخيص علاقته ومَن معه بالشيطان الرّجيم، وكشف حقيقتهم المخبوءة بتصويرٍ متناهٍ وبصورة دقيقة جداً، يتبيّن عَبْرهما تتبع السَّيّدة

(١) ينظر: التّداولية والحِجاج –مدخل ونصوص-: صابر الحباشة: ٧ و١٦.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٣) بحار الأنوار للمجلسيّ: ٣٤/٢٧.

الزهراء عليها السلام لحركات أفعالهم، وخطوات أعمالهم أوّلاً بأوّل فلا تترك صغيرة ولا كبيرة فيهم إلّا وشخّصتها، وأعطتها ما تستحق من الكشف والتشخيص.

وأمثلة تشخيصها القوم، هي قولها عليها السلام: **«فَلَمَّا اخْتارَ اللّهُ لِنَبِيِّهِ دارَ أَنْبِيائِهِ وَمَأْوى أَصْفِيائِهِ، ظَهَرَ فيكُمْ حَسِيْكَةُ النِّفاقِ وَسَمَلَ جِلْبابُ الدِّينِ، وَنَطَقَ كاظِمُ الْغاوِينِ، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقَلِّينَ، وَهَدَرَ فَنيقُ الْمُبْطِلِين. فَخَطَرَ فِي عَرَصاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتفاً بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ. ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافاً، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ غِضاباً، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ»**.

تخاطب القوم الذين كانوا سبباً بالظَّروف والأحداث التي أحاطت بالمجتمع الإسلامي حال استشهاد أبيها النَّبي العظيم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، وما آلت إليه من فسحهم المجال للشيطان وعلاقتهم به، وتبدأ بكشف (حَسِيْكَة) نفاقهم أي: عداوة النّفاق المضمر في صدورهم[1] للرسول وأهل بيته عليهم السلام الذي ظهر بعد أن اختار الله لنبيّه (أبيها) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دار أنبيائه ومأوى أصفيائه باستشهاده مسموماً.

ومِنْ ثَمَّ تصوّر دورهم في خرق (جِلْباب الدِّينِ) وتمزيقه وخلقه وأنّهم ألبسوه غير أهله الشرعيين، وبعده تعطي صورة واضحة لبداية دخولهم في دائرة الشيطان عندما أعانوا عدو الحقّ وأهله الذي هو (كاظِمُ الْغاوِينِ) أن نطق بغير آيات الله إشارة منها عليها السلام إلى قوله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ

(١) ينظر: أساس البلاغة للزمخشري: كتاب الحاء؛ مادة (حسك).

هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ * مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }[١]، لذلك تلته ذكراً بنبوغ (خامِل الأَقَلِّينَ) أي: الخفي الأذلّ من الأذلّين[٢] الذي لا شأن له ولا علم له بخصوص القرآن وعمومه نبغ بين القوم وأصبح يشرّع ويحكم بما لم ينزّل الله به سلطاناً، وألحقته بهدر (فَنِيْق الْمُبْطِلِيْنَ) والفَنِيقُ: هو الفَحلُ المُكرَّمُ مِنَ الإبِل الذي لا يُرْكَب ولا يُهانُ؛ لِكَرامَتِه على أهله، وكأنّها تريد بيان انحراف القيم والأخلاق الذي وصل الحال به إلى أنّ المبطلين نصبوا لهم خليفةً قائداً بالباطل وأصبح مكرّماً كالفحل المكرّم في أهله لا يركب ولا يهان[٣] من دون وجه حقّ، وبقي يهدر صوته بقول الباطل والزور والبهتان بعد أن كان ممسكاً ساكتاً، حتى أنّه (خَطَرَ) في عرصاتهم، لأنّهم رهنوها له، وجنّدوا أنفسهم لأجله، وراح يخطو خطاه عليها بزهو وعُجب وكبر!

فبعد تصويرها للظروف والأحداث والأحوال المصاحبة لاستشهاد (أبيها) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، نلحظ جمالية إسنادها إلى أفعال ماضوية مبنية للمعلوم كلّها؛ (ظَهَرَ - سَمَلَ - نَطَقَ - نَبَغَ - هَدَرَ - خَطَرَ)، لكي ترسم وحدة اجتماعهم على الباطل في دائرة نفاقهم التي تجمع أفعال أعمالهم كلّها في صورة واحدة تشابهوا عليها بعد أن خطّط لها بادئ ذي بدء في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٧٥-١٧٨.
(٢) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار: باب الخاء مع الميم: ١/٣٠٠.
(٣) ينظر: نفسه: باب الفاء مع النّون: ٣/٩٦.

ونفذوها بعد استشهاده، فأرادت أن تفضحهم وتكشف خبثهم بأن تقول لهم: كلّ أفعال أعمالكم هي معلومة ظاهرة بحقيقتها عند الله تعالى وعندنا أهل البيت عن الله حتى وإن أخفيتموها عن النّاس، لذلك أعقبته ببداية تشخيصها لعلاقتهم بالشيطان، فقالت عليها السلام: **«وَأَطْلَعَ الشيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتفاً بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ. ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافاً، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ غِضاباً، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ اِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ».**

فبعدما أسس القوم أساس الظّلم والجور على أهل الحقّ الإلهيّ ودفعوهم عن مقامهم وأزالوهم عن مراتبهم التي رتّبهم اللهُ فيها، ووصل الأمر إلى قتلهم، ومهّدوا للشيطان وأوليائه بالتّمكين من ظلمهم وقتالهم، كانت النتيجة في اللامرئي التي شخّصتها السَّيّدة الزهراء عليها السلام، هي: **«أَطْلَعَ الشيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ»**، فإنّها عليها السلام لم تقل: (طلع الشيطان برأسه من مغرزه)، ولو قالتها لصحّت، ولكنّها قصدت بتعبير تشخيصها الفعل الماضي الرباعي المتعدي بالهمزة (أَطْلَعَ) من الثلاثي اللازم (طلع)، لأنّه تجاوب مع مقتضى حال التمكين والإعداد الذي هيَّأهُ القوم للشيطان فـ(أَطْلَعَ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ)، وهو تأكيد تشخيصها علاقتهم العميقة بالشيطان وإثبات حقيقته التي نزل القرآن العظيم بها قائلاً في وصف شجرة الزّقوم مُشبّهاً: **{ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ* طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ }** [1]، فليس كلّ مخلوق لا يراه الإنسان العادي من النّاس ولا يدركه أو حتّى الذي عنده من العلم الوضعي المحدود بدلالةٍ على أنّه وهميٌّ ولا وجود له، كما هو مذهب البلاغيّين والمفسّرين القدماء واتبعهم المُحْدَثُون مختصو البلاغة والتفسير في قولهم إنّ التشبيه برؤوس

(١) سورة الصافات، الآية: ٦٥-٦٦.

الشّياطين تشبيهٌ وهميّ وهو خلاف الحقيقة، التي بيّنها اللهُ في قرآنه العظيم، وأكّدها السَّيّدة الزهراء عليها السلام وكشفتها عند إثبات حقيقة علاقة القوم بتمثّل صورة الشَّيطان في أشكالهم الإنسية عَبْر وصف تصوير اللامرئي الذي تراه هي؛ لأنّها من أهلِ بيتٍ عليهم السلام شاء الله بإرادته مخاطباً إيّاهم ﴿ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[١].

لذلك فلا حُجُب بينها وبين عوالم خلق الله، إذْ عندها المرئيّ واللامرئيّ حقيقة وجودهما واحدة، ولا عجب فهي كفؤ الإمام عليّ عليه السلام، القائل: **«لَوْ كُشِفَ الغِطَاءُ مَا ازْدَدَتُ يَقِيْنَاً»**[٢].

وعليه فتشخيصها لحقيقة الشّيطان هي نفسها التي خلقه اللهُ عليها، فنقلتها إلى التشخيص المرئيّ الذي يدركه المتلقّي فتحقّق تطابق الصّورة بين حقيقة القوم الباطنة والظاهرة التي فيها زيفهم وما يدّعون ويزعمون، حتى صاروا أداة وجنداً وجهازاً وهاتفه الذي يهتف به، ومصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾[٣].

لذلك قالت عليها السلام: **«هاتفاً بِكُمْ»**، وهم بهذا القرب منه يتجاوبون معه ولا يرفضون له أمراً ولا طلباً، من هنا جاء تشخيصها مخاطبة إيّاهم: **«فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ»**، وهنا نلحظ دقّة استعمال السَّيّدة الزهراء عليها السلام للفعل (أَلْفاكُمْ) في تشخيصها، الذي يدل على الألفة والمؤالفة والائتلاف

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) كشف الغمة: لأبي الحسن عليّ بن عيسى الإربليّ (ت ق٧): ١/١٧٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

والتّآلف بين الشيطان والقوم المعنين بخطاب خطبتها، حتى أنّها عليها السلام جعلت استجابتهم (لِدَعْوَتِهِ) وملاحظتهم (لِلْغِرَّةِ)، حالين؛ (مُسْتَجيبينَ)، (مُلاحِظِينَ) أي: إنّهم رهن إشارته مستعدون لأيّ دعوةٍ منه يستجيبون حالاً بحالٍ بلا تردد، ومترقّبون متابعون ملاحظون للغرّةِ أوّلاً بأول، فعمق ارتباط القوم والتصاق اتصالهم بالشيطان مثّلته كاف الخطاب الجمعيّ (كُمْ) الملتصقة بالفعل (أَلْفاكُمْ)، وكذا سائر تشخيصها في علاقتهم بالشيطان جسّدتها كاف الخطاب الجمعيّ نفسها المرتبطة بالأفعال وبالأسماء وبالحروف أيضاً، كما يوضحها المخطّط الآتي:

لذلك تلت عليها السلام جملتها بقولها: **«ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافاً، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ غِضاباً، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ»**، أي: كلّما

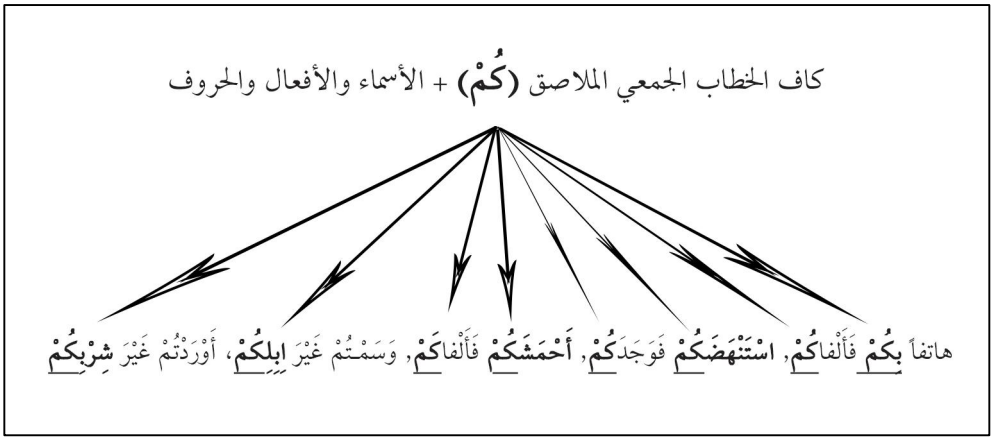

(اسْتَنْهَضَهُمْ) الشّيطان لأيّ الأمر ودعاهم إلى سرعة القيام به[1]، وجدهم مجهّزين مستعدين بأقدام خفاف طيعة يسرات في خطواته وتنفيذ أمره، وتستمر السَّيّدة الزهراء عليها السلام في تشخيص عمق علاقتهم بالشيطان، قالت لهم: **«وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ**

(١) ينظر: المعجم الوسيط: باب النون؛ مادة (نهض).

غِضاباً»، وتقصد بـ(أَحْمَشَكُمْ)، أي: أغضبكم[١] تشجيعاً وحماسةً لتنفيذ مخطّطات فتنه وخطواها، (فَأَلْفاكَمْ)، أي: كما (أَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ)، كذلك (أَلْفاكَمْ غِضاباً) متحمسين مجتمعين أحدكم يشجع الآخر في نصرة (الشَّيْطَان) وأوليائه على محاربة الحقّ وأهله، لدلالته على المواصلة والمؤانسة والمقاربة[٢]، وبهذا اللحاظ كرّرت السَّيّدة الزهراء عليها السلام (أَلْفاكُمْ/ مرتين٢) في تشخيصها، وهو يدل على الألفة الراسخة والائتلاف العميق وذوبان الانصهار المتماسك ببعضهما، فلا رجعة في فكّها بين قوم الخصم الظّالم والشيطان، ويشكّلهما الرّسم الآتي:

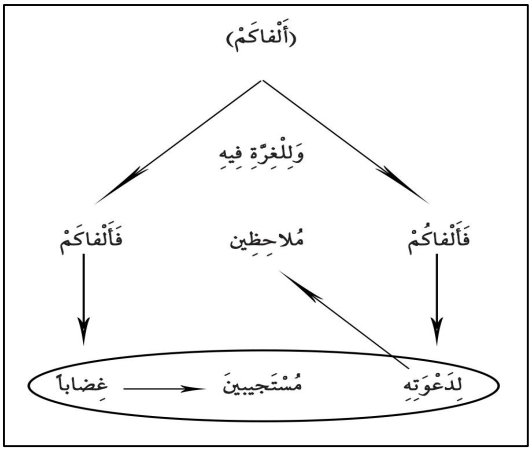

وعليه فالسَّيّدة الزهراء عليها السلام أعطتهم التشخيص الدقيق للنتيجة التي وصلوا إليها أَلَا وهي قولها لهم: **«فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ»**، وفيه إشارة سيميائية على عرف البيئة السائد آنذاك من حيث إنّ مالك الإبل الشّرعي كان له وسم بنقشٍ خاصّ به يكون عن طريق الكواء يضعه على النار ليحمى جمراً ومِنْ ثَمَّ

(١) ينظر: تاج العروس: باب الشين؛ مادة (حمش).
(٢) ينظر: نفسه: باب الفاء؛ مادة (ألف)، وينظر: أساس البلاغة: كتاب الهمزة؛ مادة (ألف).

يوسم إبله وتطبع حرقاً علامة نقش وسمه عليها حفاظاً من السّرقة أو ألّا تختلط مع إبل مالك آخر.

وكذا قولها عليها السلام: **«وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ»**، فيه إشارة إلى ثقافة عصر مناسبة الخطبة وحدثها من أنّ الذي يستحوذ على بئر أو حوض ماء أو مكان ماء ليس له فهو يورد غير شربه، لذلك السَّيّدة الزهراء عليها السلام كثّفت في تشخيصها مطلب قولها للنتيجة التي وصل القوم إليها بالإشارات إليهم، أي: إنّهم بعلاقتهم الراسخة العميقة بالشيطان أصبحوا أداةً ولعبةً وكرةً بيده وأقرب إليه من أوليائه أنفسهم، فاستحوذ عليهم فراحوا يأخذون حقّاً غير حقّهم، ويطعمون غير طعامهم، ويشربون غير شربهم.

ولها عليها السلام موقف آخر تشخّص علاقة القوم بالشّيطان اللّعين بطابع الاستمرارية في التواصل والمواصلة والاتصال الذي ينتج عنه تقدّم العلاقة بينهما وتطوّرها وتزايدها عمقاً وتعمقاً وتواشجاً وتجاوباً في كلّ جزئية من جزئيات الزمن برهة ولحظة وساعة ويوم وهكذا بلا انقطاع فيها ترابطاً بمواعيد المكان وحيث ما كان هم موجودون مستجيبون له، وهذا التشخيص منها عليها السلام هو ما حمله فعل المضارعة والاستمرار والتجدّد (تَسْتَجِيبُونَ) في قولها عند ردّها على مَن زعموا خوف الفتنة!، إذْ قالت: **«... ابْتِداراً زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، { أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ } ... ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا الاّ رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفْرَتُها، وَيَسْلَسَ قِيادُها ثُمَّ أَخذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَها، وَتُهَيِّجُونَ جَمْرَتَها، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهِتافِ الشَّيْطانِ الْغَوِيِّ...»**.

وتبعاً لهذا التشخيص نفسه ساقت السَّيّدة الزهراء عليها السلام في نصّ ردّها كلّه أفعالاً مضارعة تسند رؤية تشخيص علاقتهم بالشّيطان الغويّ وتعضّدها، وهي (لَمْ

تَلْبَثُوا + تَسْكُنَ + يَسْلَسَ + تُورُونَ + تُهَيِّجُونَ + تَسْتَجِيبُونَ)، ومنه تكشف بتشخيصها عليها السلام أنّ الفتن ليست وليدة زمن استشهاد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بل هي قديمة العهد منذ بداية دعوة الإسلام حال إعلانه بقِدَم علاقة آباء القوم أنفسهم بالشيطان الغَويّ.

إذْ كانوا ومن معهم في ظلمات الجهل والضلالة ومراتع الشياطين، وراح القوم يكيدون المكايد ويصطنعون الفتن، وجسّد هذا كلّه قولها الحِجاجيّ لهم، الذي تؤكّد فيه وتثبت (أَنَّ القَوْمَ أَبْنَاءُ القَوْمِ)، فقالت: **«فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صَلى الله عليه وآله بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، { كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَها اللهُ } ، أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلْشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخاهُ فِي لَهَواتِها»**.

فجملة تشخيصها استمرار علاقتهم بالشيطان عليها السلام: **«أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلْشَّيْطانِ»**، فالفعل (نَجَمَ) ماضٍ يدل على إمضاء رسوخ العلاقة منذ آبائهم وإلى أبنائهم، وهم بهذا الاتصال بالشيطان مصداق قوله تعالى: **{ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا }** [١].

ولقد قالها الإمام عليٌّ عليه السلام في قصيدته الزّينبيّة:

واختَرْ قَرِيْنَكَ وَاصْطَفِيْهِ مُفَاخِراً ... إنَّ القَرِيْنَ إِلَى الْمُقَارَنِ يُنْسَبُ[٢]

فتعبير السَّيّدة الزهراء عليها السلام؛ (قَرْنٌ لِلْشَّيْطانِ)، ولم تقل: (قَرْنُ الشَّيْطَان)،

(١) سورة النساء، الآية: ٣٨.

(٢) جامع دواوين الشعر العربيّ على مرّ العصور: قصيدة ذات ع/ ١٥٥١٩: ٣٢/١٢.

لأنّ قرن الشيطان ثابت متحقّق لا خلاف في منظومة العلم الإلهيّ على وجوده اللامرئي المتجسّد في المرئي بأوليائه من الإنس، كما مثّل رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حقيقة هذا القرن عندما مرّ من بيت إحدى زوجاته، وقال: **«هُنَا الْفِتْنَةُ - ثَلاَثًا - مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»**[1]، إلّا أنّها أرادت به نكتة بديعة وهي أنّ للشيطان الغويّ قرناً من الإنس مهمته محاربة الحق وأهله في كلّ زمن منذ أيام أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وليس محصوراً بعصر زمن مناسبة خطبتها فحسب، وهذا القرن للشّيطان في البرهة نفسها يؤكّد سيطرة الشّيطان عليه وامتلاكه له، من حيث هو شرى نفسه وبدنه، بل ونذرهما للشّيطان. وكذا فيه إشارة على الاقتران المتماسك الشديد الذي لا انفصام له بينهما.

قالت عليها السلام: **«فَإِنْ تَعْزُوه وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسائِكُمْ، وَأَخا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجالِكُمْ، وَ لَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إِلَيْهِ صَلى الله عليه وآله. فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعاً بِالنِّذارَةِ، مائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِباً ثَبَجَهُمْ، آخِذاً بِأَكْظامِهِمْ، داعِياً إِلى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، يَكْسِرُ الأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلُّوا الدُّبُرَ، حَتّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ، وَخَرِسَتْ شَقَاشِقُ الشَّيَاطِيْنِ، وَطاحَ وَشِيظُ النِّفاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ».**

وهنا جملة تشخيصها لآباء القوم المخصوصين بخطابها الحِجاجيّ في معرض حديثها عن مواقف أسد الله الغالب وبطل الإسلام الخالد الإمام عليّ ابن أبي طالبٍ عليهما السلام (وَخَرِسَتْ شَقَاشِقُ الشَّيَاطِيْنِ)، وفيها إثبات المسخ المتحقق لهم في اللامرئي الذي تراه السَّيّدة الزهراء عليها السلام، من حيثُ إنّ تشخيصها لعلاقتهم

(١) صحيح البخاري: الحديث ذو ع/٣١٠٤: ١١/٢٠٢.

العميقة المتجذرة الراسخة بالشّيطان مَسَخَتْ كلّ واحد منهم شيطاناً إنسيّاً ناطقاً خطيباً بالكذب والباطل، وجميعهم أصبحوا خطباء ينطقون باسم الشّيطان الأب الكبير لهم.

وهذا ما بيّنه تشخيصها نفسه الذي أخذ طابع المجاز المتمثّل واقعاً فيهم، إذ توظيفها مفردة (شَقَاشِق) بصيغة الجمع مضافة إلى مفردة صيغة جمع (الشَّياطيْن) أيضاً، مفرد (شَقَاشِق)؛ (الشِّقْشِقَة): وهي شيء كالرئة جلدة حمراء يخرجها الجمل من جوفه إذا هاج وهدر، ينفخ فيها فتظهر من شِدْقِه ولا تكون إلّا للجمل العربيّ، ويقال: هدرت شقشقة فلان ثار أو أفصح في كلام.

وهو ما قاله الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام عقب خطبته (الشِّقْشِقِيَّة) عندما (قال له ابن عبّاس رحمة الله عليه: يا أمير المؤمنين، لو اطَّردتْ مقالتُكَ من حيثُ أفضيتَ! فقال عليه السلام: **«هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عبَّاس! تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ»**)[1].

ويقال: (شقشقة هدرت ثمّ قرّت) ضجّة أو فتنة ثارت ثمّ هدأت، ويقال: في تشبيه الفصيح المِنْطِيق بالفحل الهادر ولِسانه بشِقْشِقَتِه ونُسبتْ إلى الشَّيطان لِمَا يدخل فيه من الكذب والباطل وكونه لا يُبالي بما قال، ويقال: فلان شقشقة قومه زعيمهم المتحدث عنهم[2]، ولم تقل؛ (خَرِسَتْ شَقَاشِقُ الشَّيْطَانِ) أي: إنّها عليها السلام لم تضف مفردة (شَقَاشِق) إلى مفردة (الشَّيْطَانِ) بصيغته الإفرادية، ولو قالتها لصحّت، ولكنّها قصدتْ بتشخيصها وصف حقيقة مسخ القوم بفعل ما كانت عليها علاقتهم

(١) نهج البلاغة: الخطبة الشِّقشقيّة تحـ/ السيّد هاشم الميلانيّ: ٨٢.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط: باب الشّين؛ مادة (الشقشقة). وينظر: لسان العرب: باب الشّين؛ مادة (شقق).

بالشَّيطان أبيهم الكبير وولدوا الأبناء.

فكان ما كان من صبغتهم الشّيطانيّة وتحوّلهم ومسخهم الذي جسّدته جملتها الوحيدة في نصّ خطبتها كلّه بلفظ (الشَّيَاطِيْن) فكانت الجملة الإشاريّة التَّشخيصيّة المُكثِّفة إلى تشخيص القرآن العظيم لشياطين الجنّ والإنس معاً، إذْ كشف حقيقتهم في (ثلاث عشرة / ١٣)[١] مرّة بلفظ (الشَّيَاطِيْن) تحديداً.

وأُنموذجها قوله عز وجل: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ }[٢].

وكذا قوله تعالى: { إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ }[٣].

وغيرهما من نماذج مصاديق حقيقة (الشَّيَاطِيْن) وملازماتهم ما ظهر منها وما بطن التي شخّصها اللهُ في آي قرآنه الحكيم، ومنه نهلتْ، وعلى أساسه بَنَتِ السَّيّدة الزهراء عليها السلام تشخصيها في كشف حقيقة علاقة آباء القوم وأبنائهم بـ(الشّيْطَان) الغويّ اللعين الرّجيم، ومسخ صورهم الإنسيّة بـ(الشَّيَاطِيْن)، جمعتها بـ(أربع مواقف / ٤) تشخيصية لعلاقتهم به، (ثلاثة / ٣) منها بصيغة الإفراد (الشَّيطان)، و(واحدة / ١) يتيمة بصيغة الجمع (الشَّيَاطِيْن)، كما عالجها تحليل القراءة وكشفها تفصيليّاً.

---

(١) تنظر: آيات السّور: البقرة: ١٠٢، والأنعام: ٧١-١١٢-١٢١، والأعراف: ٢٧-١٥٣، والإسراء: ٢٧، ومريم: ٨٣، والأنبياء: ٨٢، والمؤمنون: ٩٧، والشّعراء: ٢١٠-٢٢١، والصّافّات: ٦٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

الفصل السابع

تلقيها عليها السلام للقرآن بين الامتثال والاستدلال

المبحث الأول: الامتثال القرآنيّ في تلقّي خطابها.

المبحث الثاني: اسْتِدْلَالُهَا عليها السلام بِالنَّصِّ القُرآنِيِّ فِي خِطَابِهَا وَخَصَائِصُهُ.

المَبْحث الأوّل: الامتثال القرآنيّ في تلقّي خطابها

أولاً: افتتاح الخطاب واستهلاله (كلمة الديباجة)

(الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أنْعَمَ) افتتحت السَّيّدة الزهراء عليها السلام خطبتها المتمثلة بمفتاح ديباجتها القرآنيّ وهو (الحَمْد) المتناسب دلالياً والمتراتب سياقياً مع مفردة (أَنْعَم) - لقد مرّ الحديث في الموضوعة الآنفة -، لأنّها قصدت البدء بالذي يختصّ (اللهُ) به وحده أَلَا إنّه (الحَمْد) بكونه المنعم على النّاس كافة كلّ شيء يعلمون به، أو لا يعلمون، يشعرون به حسيّاً أو لا يشعرون على النّحو العامّ.

أمّا على النحو الخاصّ فإنّ أرادت العموم والشمول لكلّ شيء عامّ وخاصّ؛ (مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغ آلاءٍ أسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها)، التي يعجز الإنسان على أن يحصيها ويعدّها؛ لأنّها (جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أَبَدُها)، لماذا؟ لأنّها تقصد التفات المتلقي إلى أنّ هذه (النِّعم) و(الآلاء) و(المِنَن) ما كان اللهُ منعماً بها على الخلائق جميعاً لولا وجود أعظم (النِّعم) و(الآلاء) و(المِنَن) وأكبرها ألا إنّه (الصّراط المُستقيم) المتجسّد بشخص خاتم الأنبياء والمرسلين أبيها العظيم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ومصداقه نفسه منه المتمثّل بابن عمّها الإمام عليّ بن أبي طالب عليهما السلام الوصي صاحب البيعة بعد رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال الله عز وجل فيه: { وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ } [١].

من هنا يبدو جليّاً امتثالها القرآنيّ بـ(سورة فاتحة الحَمْد/ أمّ القرآن) التي يفتتحها بقوله الكريم المجيد العظيم: { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * (الْحَمْدُ) للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا (الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) * صِرَاطَ الَّذِينَ (أَنْعَمْتَ) عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } [٢].

ثانياً: تَوْظيف المُفْردات القرآنيّة في سِيَاقِها الحِجاجيّ

نقصد بتوظيف المفردات هي التي تكون مفتاح الموضوع أو إحدى لبناته الأساس، ووجودها في بناء النّص يسوقه إلى معاني الغرض الرئيس ودلالاته، كما وقعت عليها قصدية المنشئ واختاره وانتقاؤه، والسَّيّدة الزهراء عليها السلام تنهل في توظيف مفردات خطبتها من لغة القرآن الكريم وبلاغته، ولا عجب فهي ترجمانه وعِدْله بكونها الأُمّ الكبرى لأساس الثّقلين وأصلهما اللذين تركهما لنا رسول اللهُ عليها السلام لنتبعهما، إذْ عاهدنا ووعدنا أنّهما لن يفترقا أبداً في كلّ شيء حتى يردا عليه الحوض، لذا فتوظيفها المفردات القرآنيّة تأكيد الملازمة المعهودة الموعودة بحكم أنّها بحسب هذا الخصوص القرآن الناطق المعصوم، وعالمة بخصوص هذا القرآن المعصوم المرسوم وعمومه، والمعصومُ لا يأخذ إلّا من المعصوم، ولا وجود لمخلوق من مخلوقي البشر أعلم بالقرآن من السَّيّدة الزهراء عليها السلام بعد أبيها رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أفصح العرب، وبعلها الإمام عليّ عليه السلام سيّد البلغاء، لذلك لو كان هناك كتابٌ وقرآن أفصح وأبلغ من القرآن العظيم، لجعلته السَّيّدة الزهراء عليها السلام

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٢) سورة الفاتحة، الآيات: ١-٧.

مرجعاً لها تسترد معانيها وتوظّف مفردات نصّ خطبتها منه.

ينقسم توظيف مفردات خطبتها إلى استعمالين: المُباشر وغَيْر المُباشر، بحسب مقتضى حال مناسبة خطابها الحِجاجيّ. فالتوظيف المباشر هو استعمال المفردات التي وظّفتها بدلالتها في سياقها القرآنيّ مباشرة وتوجيهها الموضوعي، ومن نماذجه قولها؛ **«الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أَنْعَمَ»**، قصدت السَّيّدة الزهراء عليها السلام دلالات مفردة (الْحَمْدُ للهِ) الواردة في سياقها القرآنيّ (٢١ مرّة)[١]، ومصداقها الأمثل؛ (أمّ الكتاب/ سورة الحَمْد) فاتحة القرآن الكريم التي تستهل بالحمد لله عز وجل ، كما أنّها في تركيب جملة الحمد نفسها وظّفت مفردة أخرى هي (أَنْعَمَ)، **{ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}** .

وكذا أرادت من وراء توظيفها القرآنيّ تعزيز قوة ارتباطها الحقّ الصّادق بحمد الله عز وجل وتسليمها المطلق له تعالى، وبدلالات الإنعام من الله الذي (أَنْعَمَ) حيث أوردها القرآن العظيم في سياق آيات سّوره الكريمات (٥ / خمس مرّات)[٢].

وأنموذجها القرآنيّ المعضّد لها قوله تعالى: **{ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا * وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ**

(١) تُنظر: آيات السّور: الأنعام: ١، والأعراف: ٤٣، ويونس: ١٠، وإبراهيم: ٣٩، والنّحل: ٧٥، والإسراء: ١١١، والكهف: ١، والمؤمنون: ٢٨، والنّمل: ١٥-٥٩-٩٣، والعنكبوت: ٦٣، ولقمان: ٢٥، وسبأ: ١، وفاطر: ١-٣٤، والزّمر: ٢٩-٧٤-٧٥، غافر: ٦٥.

(٢) تُنظر: آيات السّور: النّساء: ٦٩-٧٢، المائدة: ٢٣، مريم: ٥٨، الأحزاب: ٣٧.

اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا } [١].

(جَمَّ عَنِ الإِحْصاءِ عدَدُها)، (نأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها)، (تَفاوَتَ عَنِ الإِدْراكِ أَبَدُها)، (وَنَدَبَهُمْ لاِسْتِزادَتِها بالشُّكْرِ لاتِّصالِها)، وكذا قصدت بتوظيفها (بالشُّكْرِ) ما هو واقع في مقصد دلالة السياق القرآني، في قوله تعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } [٢].

و(ضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها)، فموصول ذكر الحمد لله عز وجل أساس طمأنينة القلوب، وشرط لموصول الآلاء والنعم على العبد، لقوله تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } [٣].

و(الْمُمْتَنعُ مِنَ الأَبْصارِ رُؤْيَتُهُ)، وظّفتِ السَّيّدة الزهراء عليها السلام مفردة (الأَبْصار) كما هي في دلالة سياقها القرآنيّ، إذْ قال تعالى: { لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } [٤].

ومن نماذج توظيفها المباشر للمفردة ودلالتها أيضاً، قولها في معرض الصلاة على أبيها الرَّسول العظيم وسلامها عليه صلى الله عليه وآله وسلم أمام القوم الموجّه خطابها إليهم، هو: **«صلّى اللهُ على أبي نَبِيِّهِ وأَمِيْنِهِ عَلى الوَحْيِ، وَصَفِيِّهِ وَخِيَرَتِهِ مِنَ الخَلْقِ وَرَضِيِّهِ، والسَّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ».**

نلحظ السَّيّدة الزهراء عليها السلام مُوظِّفة مفردات قاصدةً بخصوص

---

(١) سورة النساء، الآيات: ٦٩-٧٢.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٣) سورة الرّعد، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

الخصوص في تركيب خطابها الحِجاجيّ، هي: (نَبِيِّه)، و(أَمِيْنِه)، و(الوَحْي)، و(صَفِيِّه)، (رَضِيِّه)، أرادت بمفردة (نَبِيِّه) في أثناء صلاتها وسلامها صّلاة الله تعالى وملائكته وأمره بهما في قرآنه المجيد، من حيث إنّها في سياق خطبتها كلّها نلحظها موظفةً مفردة (أبي رسول الله)، و(أبي الرسول). إلّا أنّها في موضوعة الصّلاة والسّلام استعملت مفردة (نَبِيِّه)، وجعلتها مقترنة بالضمير المتصل العائد إلى الله تعالى، لتقدّمه مرتبة بالذكر عليه المجاور بفاعليته الصّلاة للفعل الذي ابنته السَّيّدة الزهراء عليها السلام للمعلوم، إشارة منها إلى مقام أبيها (النّبي) المبارك وقربه عند الله ومنه، المخصوص بقوله الكريم: { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى }[1].

وصلّى اللهُ عليه وملائكته، وأمر المؤمنين بالصَّلاة والتسليم المطلق له، إذْ قال في محكم كتابه الحكيم: { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }[2].

لذلك تلتها مباشرة بمفردتي (أَمِيْنِه)، و(الوَحْي)، تأكيد منها للمقام العظيم نفسه لأبيها عند الله تعالى أيضاً.

---

(١) سورة النجم، الآيات: ١-١٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

والسبب في قصدها توظيف هذه المفردات القرآنيّة في خطاب احتجاجها على الآخر وقومه الذين معه، لأنّ هذا الآخر ومن معه المقصود بخطبتها هو نفسه، في آخر ساعة حياة أبيها النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم قُبيل استشهاده، قال في ذلك الموقف: (إِنَّ النَّبِي يَهْجر)[١]، - وحاشا له ذلك صلى الله عليه وآله وسلم! -، عندما أمر من كان حاضراً بدوات وقلم ليكتب ما أوحى اللهُ به، ولقد بلّغ البقيّة وشخّص الوصي والخليفة من بعده، على الرغم من عناد المعاندين، فقال: **«وإِنِّي تَارِكٌ فِيْكُمُ الثَّقْلَيْنِ؛ أَحَدهُمَا أَكْبَر مِنَ الآخَرِ، كِتَابَ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلى الأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَن يَّفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ»**[٢]، فبيّنت عليها السلام لهذا الآخر وقومه عَبْر توظيفها دلالة المفردة القرآنيّة النازل في حكم أمانته على وحي الله، ولا ينطق إلّا بما يأتي الوحي به.

ومِنْ ثَمَّ تعزّز سياق هذا المطلب بتوظيف مفردتين قرآنيّتين يحملان تأكيد الوظيفة الدلالية المندوبة، هما: و(صَفِيِّه)، و(رَضِيِّه)، فـ(الصَفِيّ) هو خالص كلّ شيء باصطفاء واختيار ومنه لقّب أبونا آدم بصفيّ الله وكذا سائر الأنبياء والرّسل، وحتى الخاتم نبيّنا الرسول العظيم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، أي: خالصه ومختاره، وقيل: صَفْوَةُ كُلِّ شيءٍ خالِصُهُ[٣]، إلّا أنّ نبيّنا محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم انماز عن سائر ممّن اصطفاهم بقوله تعالى: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } [٤].

(١) صحيح البخاري: ٤/٤٩٠، وصحيح مسلم: ١١/٨٩.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٣/١٨.

(٣) ينظر: تاج العروس مادة (صفو)، وينظر أيضاً: لسان العرب: مادة (صفا).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

ولقد ورد معنى الاصطفاء بدلالته التي قصدها السَّيّدة الزهراء عليها السلام واستعملتها بسياقها في التعبير القرآنيّ (٧/ سبع مرّات)[١].

وكذا دلالة مفردة (رَضِيِّه) واتصالها بالضمير العائد إلى الله سبحانه المؤكد مقام أبيها من الذّات المقدّسة، كما تجسّد هذا المعنى العظيم في آيات سورة النّجم آنفة الذكر، إذْ عضّدتِ السَّيّدة الزهراء عليها السلام بها حُجّتها على الآخر وقومه أيضاً، في ضوء توظيفها بدلالتها القرآنيّة التي تثبت أنّ أباها النّبي صلى الله عليه وآله وسلم رضيُّ الله العظيم ومن لم يرضَ أبوها عنه؟ لن يرضى اللهُ عنه أبداً! بتعبير آخر تريد أن تقول لخصمها الظَّالم وقومه؛ إنّ أباها النّبي محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم رضا الله في رضاه!، وكيف بك وبقومك ولقد آذيتموه في حياته وعند ساعة استشهاده وبعده بابنته ومنعتم إرثها منه وغصبتم حقوقها؟!، فكان عدد ورودها باشتقاقها ودلالة سياقها القرآنيّ (١٦/ست عشرة مرّة)[٢].

وأُنموذجها ثلاث آيات مخصوصات بالرّسول النّبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، الأولى؛ قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[٣].

والثانية في الطاعة بمبايعة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ

(١) تنظر: آيات السّور: البقرة: ١٣٢-٢٤٧، وآل عمران: ٣٣-٤٢، والنّمل: ٥٩، والصَّافّات: ١٥٣.

(٢) تنظر: آيات السّور: البقرة: ١٢٠، وآل عمران: ١٦٢-١٧٤، والمائدة: ١٦-١١٩، والتّوبة: ٩٦-١٠٠، والفتح: ١٨، والمجادلة: ٢٢، والبيّنة: ٨، والنّساء: ١٠٨، والزّمر: ٧، والليل: ٢١، وطه: ١٣٠، والحديد: ٢٧، ومحمّد صلى الله عليه وآله وسلم : ٢٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦١-١٦٢.

رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا } [١].

والثالثة التي تخصّ الآخر وقومه الذين حكموا بغير حكم الله واتبعوا ما أسخطه وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم كلّها حتى قيام يوم الدِّين؛ قوله تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } [٢].

من هنا كانت قصدية السَّيّدة الزهراء عليها السلام في توظيفها المباشر لدلالة المفردة القرآنيّة. ومن النماذج كذلك، قولها عليها السلام: (وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها)، الذي ساقته لتدعم به حجّتها على الآخر وقومه أنفسهم، إذْ استعملت المفردة القرآنيّة (بَقِيَّة) بدلالتها القرآنية الصّريحة لتشير للآخر إلى مورد خصوص الاستخلاف والخلافة للثقلين معاً؛ الثّقل الأوّل: كتاب الله الناطق والقرآن الصّادق الذي أمر الأمّة باتباعه وتطبيق أحكامه، والثّقل الثاني: عترة أهل بيت النّبوة عليهم السلام الذين أمر اللهُ تعالى باتباعهم وطاعتهم لأنّهم ترجمان القرآن وعلماؤه.

ولقد وردت مفردة (بَقِيَّة) (٣/ ثلاث مرّات)، عند قوله تعالى: { وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [٣]، وقوله تعالى: { بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ } [٤]، وقوله

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١٨.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٨.

(٤) سورة هود، الآية: ٨٦.

تعالى: { فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ } [١].

أمّا التّوظيف غير المباشر، فهو استعمال المفردة القرآنيّة في غير دلالتها في سياقها القرآنيّ، ولكنّها تحيل المتلقّي ولاسيما (الآخر المُخاطَب مُسبِّب مناسبة الخطبة) إلى دلالة عرف التّوظيف القرآنيّ لها، هي الأصل المقصود من السَّيّدة الزهراء عليها السلام لمعنى متبادل في سياق تقابليّ، يكون أقوى من دلالة المفردة الموظّفة في نصّ خطاب خطبتها عليها السلام، من نماذجه، قولها: **«وَسُبُوغ آلاءٍ أسْداها»**، جاء توظيف مفردة (آلاءٍ) القرآنيّة في الخطبة بدلالة سياق الحمد لله عز وجل على نِعَمه وآلائه، وفي السياق نفسه أرادت إيصال إشارة إلى الآخر المتلقّي أصل المعنى الحقيقي المخصوص بالخطاب هو نفسه، إذْ إنّ مفردة (آلاء) وردت في دلالة سياقها القرآني بأمر القوم الجاحدين والمتجاهلين (آلاء الله) عليهم بذكرها في آيتين كريمتين، هما:

الأولى: استفهامية بذكر أمريّ، قوله تعالى: { أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [٢].

والثانية: بذكر أمريّ، قوله تعالى: { وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } [٣].

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٧٤.

وكذا بدلالة ورودها القرآنيّ في استفهام التوبيخ لمعشر الجنّ والإنس اللذينِ يكذّبان بـ(آلاءِ ربِّهِمَا) عند قوله الكريم: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[1]، وكذلك الذي يجادل ويتمارى بـ(آلاءِ رَبِّهِ) في قوله عز وجل: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ﴾[2].

فالسَّيّدة الزهراء عليها السلام في سياق حمدها لله أعطتِ الآخر الخصم المخاطَب ومَن معه من قومه إشارة صريحة أنّهم معنيون بدلالة (الآلاء) في سياق خطاب الله عز وجل للقوم المكذّبين المجادلين الجَّاحدين المفسدين الظَّالمين لـ(آلاء الله)، وداخلين مشمولين في دائرة أعمالهم وأفعالهم السيئة التي وبّخهم اللهُ عليها.

ومن نماذجه أيضاً، قولها عليها السلام: **«أَشْهَدُ أنّ أبي مُحَمَّداً صلّى الله عليه وآله عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أن اجْتَلَبَهُ، وَاصْطفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ، إذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهاويل مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ».**

في نصّ شهادتها بمقام أبيها الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وظّفت عليها السلام مفردة (مَكْنُونَةٌ) بصيغة التأنيث المتطابقة مع جمع (الْخَلائِق)، أي: الخلائق قبل خلقها في علم الله مكنونة وقبل أيّ عالم من عوالم بدء الخلق، ومقام أبيها النّبي العظيم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم عند الله تعالى (مَقَامٌ مَكْنُوْن) هو: (عَبْدُ الله ورَسَوْلُهُ ومُخْتَارُهُ ومُنْتَجَبُهُ وسَمِيُّهُ ومُصْطَفَاهُ وصَفِيُّهُ)، إحالة دلالية منها عليها السلام إلى أنّ أباها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو ذلك الثّقل العِدْل الطاهر المطهر

---

(١) سورة الرّحمن: ١٣. وتُنظر في آياتها: ١٦-١٨-٢١-٢٣-٢٥-٢٨-٣٠-٣٢-٣٤-٣٦-٣٨-٤٠-٤٢-٤٥-٤٧-٤٩-٥١-٥٣-٥٥-٥٧-٥٩-٦١-٦٣-٦٥-٦٧-٦٩-٧١-٧٣-٧٥-٧٧.

(٢) سورة النجم، الآية: ٥٥.

لكتاب الله الثقل الكريم المكنون الذي خصّه الله عز وجل بقوله المبارك: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ * فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١).

ومن النَّماذج الأُخَر، قولها عليها السلام: **«أيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أنّي فَاطِمَةُ، وَأَبِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَقُولُ عَوْداً وَبَدْءاً، وَلا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطاً، وَلا أَفْعَلُ ما أَفْعَلُ شَطَطاً».**

مناسبة ندائها تذكير النّاس الحاضرين جميعهم بما فيهم الآخر الخصم رأس الفتنة المخصوص بخطابها أصلاً وتُعْلِمُهم أنّها (فَاطِمَة) هي نفسها (فَاطِمَة بِنْت مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم) النّبي الذي أمر اللهُ عز وجل بالصَّلاة عليه وآله معه وهي (فَاطِمَة) من أهل بيته (آلِه) عليهم السلام، الذين حصر اللهُ إرادته فيهم بالتَّطهير، فقال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٢)، لذلك قالت عليها السلام: **«وَلَا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطاً، وَلَا أَفْعَلُ ما أَفْعَلُ شَطَطاً»**، إذْ نجدها وظّفت المفردة القرآنيّة (شَطَطاً) في نفي (فعل الشَّطط) عنها عليها السلام، في حين دلالتها في سياق القرآنيّ في مورد (قول الشَّطط)، عند قوله بحقّ (فِتْيَة أَهْلِ الكَهْفِ) الذين حوربوا من قومهم بسبب إيمانهم بالله تعالى، ولم يعبدوا ولم يطيعوا أحداً من دونه ولم يقولوا بألوهية بأحدٍ غيره ولن يدعوا من دونه إلهاً، لأنّهم لا يقولون الشَّطط على الله عز وجل أبداً، فربط الله على قلوبهم وحفظهم إلى يوم الوقت المعلوم: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ (٣)، وقوله في

(١) سورة الواقعة، ألآيات: ٧٤-٨٠. سورة الصافات، الآية: ٤٩. سورة الطور، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٤.

السَّفيه الذي كان يقول؛ إنَّ لله صاحبةً وولداً أيضاً، فجاء اعتراف قومه بقوله الشّطط: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً ﴾ (١).

من هنا يُبان سرّ توظيف السَّيّدة الزهراء المفردة (شَطَطاً) في نفي فعل الشّطط عنها، لأنّها أرادت تحقيق أكثر من معنى:

الأوّل: أرادت أن تبيّن للنّاس وللتأريخ أنّها من ﴿ بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٢)، فمقامها أعلى شأنها عند الله تعالى من فعل (الشَّطط)، وليس نفي القول عنها فحسب.

والثّاني: أنّها أرادت كشف حقيقة الآخر الخصم بالإشارة إلى أصل استعمال المفردة القرآنيّ بقول الخصم الظالم (الشَّطط)، عندما قال وحَكَمَ بغير حكم الله عز وجل في كتابه النَّاطق وقرآنه الصّادق في سلبه خلافة إمام عصره أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وتقمصها، بقوله: (الأمر شورى)، وكذا منعها إرثها من أبيها النَّبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وحقوقها الشَّرعية، بقوله: (الأنبياء لا يورّثون)، ومن قبلُ هو نفسه قد هتك حرمة خاتم الأنبياء والرّسل وتعدّى على مقامه العظيم، بقوله: (إنّه يهجر).

والثالث: تثبيت حقائق أحداث الفتنة التي افتعلها الخصم الظَّالم بهتاناً وزوراً بحقّ أهل الله تعالى مُحمّد وآل مُحمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

والرابع: تأكيدها أنّ الآخر الخصم الظّالم، هو المصداق الأمثل في شموله ومن معه في دائرة مصاديق دلالة السياق القرآنيّ بقول (الشَّطط) وفعله.

ومن النّماذج كذلك، قولها عليها السلام: **«مَا هَذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟ وَالسِّنَةُ**

(١) سورة الجن، الآية: ٤.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٦.

عَنْ ظُلامَتِي؟».

وظّفتِ السَّيّدة الزهراء عليها السلام مفردة (السِّنَة) في سياق خطاب استفهامها التقريعي من القوم عن (ظُلامَتِهَا)، بما أصابهم من نوم وثقل وضعف واستسلام لظلم الخصم الظالم بحقها، كثقل الذي أخذه نعاس النوم وأفقده قوته، لذلك قصدت في سرّ توظيفها العميق الإشارة إلى حقيقة ورودها في السَّياق القرآني، لتقول لهم: إن أردتهم (السِّنَة عَنْ ظُلامَتِي؟)، فإنّ لي الله ربّي يأخذ حقّي من الخصم الظَّالم، لأنّه **{ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ (سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ }** [1]، ولقد وظّف القرآن الحكيم مفردة (سِنَة) مرّة واحدة في بيان تخصيص مورد الألوهية والوحدانية (لله) سبحانه و تعالى.

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٥٤-٢٥٥.

المَبْحَثُ الثَّانِي: اسْتِدْلَالُهَا عليها السلام بالنَّصِّ القُرآنِيِّ فِي خِطَابِهَا وَخَصَائِصُهُ

١. استدلالها القرآنيّ

إنّ عصر إلقاء السَّيّدة الزهراء عليها السلام خطبتها الفدكيّة أو زمانها لا يخفى عن الباحث المُتتبع، إذْ هو عصر انتشار الإسلام المحمّديّ واتساع ثقافة القرآن الكريم، وكثرة قرآئه على حدود دولة رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، من حيث إنّ الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، قبل استشهاده العظيم، لم يترك شيئاً لا صغيراً ولا كبيراً من مبادئ الإسلام وأركانه، وأصول الدّين وفروعه، وأحكام الشّرع وقواعده، إلّا وبيّنها وأوضحها وأمر بتقييدها.

وقبيل استشهاده بأيام، هلمّوا جند الشيطان بتنفيذ مخططهم في الحرب على إسلامه الأصيل وأهل بيته عليهم السلام بيت التنزيل، فبدأوا مؤامرتهم بقولهم للنّبي الرّسول (إنّ النّبي يهجر)[1]، عندما طلب بأن يؤتى له بدواة وقلم ويقيّد ما نزل به وحي الله من وصيته بالقرآن الكريم وترجمانه أهل البيت عليهم السلام ، وعندها بعدما شككوا بشخص مقام النّبوة وضلّلوا النّاس، وانحرف كثيرٌ مِنَ الصّحابة بمن فيهم الذين

(١) صحيح البخاري: ٤/٤٩٠، وصحيح مسلم: ١١/٨٩.

يحفظون القرآن على ظهر قلوبهم ويحملونه في وجدانهم وعقولهم.

وبعدها جاءت خطوات مؤامرتهم تتراً، إذْ منعوا تدوين حديث الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بحجّة لأنّا يختلط بالقرآن، في حين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك لنا القرآن مدوّناً مجموعاً وإنّا ما قال: **«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقْلَيْنِ؛ أَحَدهُمَا أَكْبَر مِنَ الآخَرِ، كِتَابَ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلى الأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَن يَّفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ»**[1]. كما أنّ السَّيّدة الزهراء عليها السلام في أكثر من مورد وموضع أثبتت هذا الأمر وأشارت إليه في خطاب حِجَاجها، منه قولها عليها السلام: **«هذا كِتابُ اللهِ حَكَماً عَدْلاً، وَناطِقاً فَصْلاً»**.

وقولها عليها السلام: **«فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنَى تُؤْفَكُونَ؟ وَكِتابُ اللّه بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، أَرَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟»**.

ولكنّهم بخبثهم كانوا يهدفون إلى طمس ذكر أهل البيت عليهم السلام ، ووصايا الله عز وجل ورسوله العظيم بهم، ثمّ جنّدوا مَن لا علم له ولا علاقة بالحديث الشّريف، وأمروهم بتحريف الأحاديث النّبويّة، بل ووصل الأمر إلى وضع الأحاديث الموضوعة المزيفة المفترات على رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، ففي خضم معترك هذا المُناخ وهذه الأجواء كانت ولادة خطبة السيّدة الزهراء عليها السلام.

من هنا فالمتلقّون الحاضرون مع الخصم الظّالم كانوا بين صحابيٍّ وراوٍ وقارئ حامل لكتاب الله القرآن العظيم، لذلك كان استدلال السَّيّدة الزهراء عليها السلام عليهم مخصوصاً دقيقاً لا يقبل الرّيب ولا الشّك فيه أبداً، ولعلمها أهمية الاستدلال

(١) مسند أحمد بن حنبل: ١٨/٣.

بآي القرآن وقوة حجّته، لأنّ الله تعالى جعله الحجّة والتّبيان، والداعي والبيان، ومن إعجازه منطق حججه يذعن لها النّاس أجمعين، وكذا جعل مقدرة خاصة عند رسله وأنبيائه وأوليائه على الحجاج وبلاغته وفصاحته، لتبليغ رسالته، بالمحاجة والمجادلة، وهذا ما كان عليه رسولنا العظيم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأهل البيت عليهم السلام يستعملونه لمعرفتهم وإدراكهم عَالِمين بين حجج الحقّ، وحجج الباطل، وكانوا يحذرون من الجدال لأنّه مبنيٌ على التّمويه والخداع، كما هي الحال مع نصارى نجران وغيرهم، كلّ هذا لما كان أتى القرآن من فصل الخطاب أفحم به الخصوم!

إذْ عرف الإمام عليّ عليه السلام بتفرّده إجادة نقده الاحتجاج العقليّ بين المسلمين كافّة، وعلى وجه الخصوص بين الصّحابة كلّهم((١)). وكذا كفؤه السيّدة الزهراء عليها السلام انطلاقاً من هذا المبدأ استدلت بـ(٢٧/ سبعٍ وعشرين) آية توزعت على (٢١/ واحدٍ وعشرين) موضوعاً حِجَاجيّاً، كما في الآتي:

١. ففي حُجّية تقوى الله، استدلت بقوله تعالى: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢).

٢. وفي حُجّية طاعة الله وخشيته، بقوله، عند خطابها: **«وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنّه** ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٣)**»**.

٣. وفي حجّية خوف تخطّف النّاس من نصرة الحقّ، بقوله: ﴿ تَخَافُونَ أَنْ

(١) - ينظر: الاحتجاج العقليّ والمعنى البلاغيّ –دراسة وصفيّة-(رسالة): ناصر بن دخيل الله السّعيديّ: ٣٢ وما بعدها.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ } [١].

٤. وفي حجّية إثبات عداوة الآخر للإسلام ولأهله وإثارتهم الفتن، بقوله عز وجل: { كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ } [٢].

٥. وفي حجّية مَنْ زعم خوف الفتنة، بقوله تعالى: { أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ } [٣].

٦. وفي حجّية تحدّيها بُعد القوم من محاولتهم صرف الحقّ عن صراط الله المستقيم، بتبرير زعم خوف الفتنة، عند قولها عليها السلام: «**فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَ** { أَنَّى تُؤْفَكُونَ } [٤]».

٧. وفي حجّية الظّالمين للحقوق ولأنفسهم، بقوله: { بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا } [٥].

٨. وفي حجّية مَن يبتغي غير الإسلام ويخالفه بغير ما أمر الله عز وجل، بقوله سبحانه: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [٦].

٩. وفي حجّية مَن يأخذ بحكم الجاهلية في منع الإرث: { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } [٧].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٩.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٥. سورة يونس، الآية: ٣٤. سورة فاطر، الآية: ٣. سورة غافر، الآية: ٦٢.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

١٠. وفي حجّية مَن عمدوا منع إرثها عليها السلام: ﴿ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ [١]، وقوله تعالى لدى خطابها الاستفهاميّ عليها السلام: «**أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، اذْ يَقُولُ:** ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ ﴾ [٢]»، وقوله سبحانه لدى خطاب قولها عليها السلام: «**وَقالَ فيمَا اقْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَي بْنِ زَكَرِيّا عليهما السلام إِذْ قالَ رَبِّ** ﴿ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِياً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ [٣]»، وقوله: ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [٤]، وقوله عز وجل: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾ [٥]، وقوله: ﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [٦].

١١. وفي وفي حجّية عاقبة الذين منعوا حقّها من الإرث، بقوله تبارك اسمه: ﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [٧]، وقوله عز وجل: ﴿ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ [٨].

١٢. وفي حجيّة انقلاب القوم على أعقابهم بعد استشهاد الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، قوله عز وجل: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ

---

(١) سورة مريم، الآية: ٢٧.

(٢) سورة النمل، الآية: ١٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٧٥. سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٥) سورة النساء، الآية: ٦.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٠.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ٦٧.

(٨) سورة هود، الآية: ٣٩. سورة الزمر، الآية: ٤٠.

أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } (١).

١٣. وفي حجيّة خشية القوم غير الله ومحاربتهم الحقّ وأهله، قوله: { أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (٢).

١٤. وفي حجيّة استشراف دخول الخصم وقومه نار الله الأبديّة، قوله عز وجل: { نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ } (٣).

١٥. وفي حجيّة يقين انقلاب الظّالمين وسوء عاقبتهم، قوله تعالى: { وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ } (٤).

١٦. وفي حجيّة يقين جزاء الأعمال بمجيء اليوم الموعود، قوله سبحانه: { اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ } (٥).

١٧. وفي حجيّة ارتكابهم الأمر العظيم بما سهّلته لهم أنفسهم، قوله عز وجل: { بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } (٦).

١٨. وفي حجيّة خسران المُبطلين، بقوله: { وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ } (٧).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٨٨.

(٣) سورة الهمزة، الآيتان: ٦-٧.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

(٥) سورة هود، الآية: ١٢١-١٢٢.

(٦) سورة يوسف، الآية: ١٨.

(٧) سورة غافر، الآية: ٧٨.

١٩. وفي حجّية تحقق حصول الرَّين على قلوبهم، بقوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[١].

٢٠. وفي حجّية تدبّر القرآن العظيم، بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٢].

٢١. وفي حجّية ظنّها المطلق بالله على أنّه الغني عن عبادة أيّ مخلوق، قوله: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٣].

٢. خصائص استدلالها القرآنيّ

إنماز استدلال السَّيّدة الزّهراء عليها السلام بالنّص القرآنيّ في إلقاء حجّتها على الآخر الخصم وقومه، إذ يفسر سعة التجانس بين مضمون الخطبة وأسلوبها الفنّي، في التوكّؤ عليه بنمطيه التّناصي والاحتجاجيّ[٤] بالخصائص الآتية:

أوّلاً: إنّ موارد استدلالها القرآنيّ عليها السلام كلّها، اعتمدتِ الآيات المحكمة التي لا يستطيع الآخر الخصم المعني بخطابها تأويله بزيغ قلبه ويدخله في المتشابه.

ثانياً: تلقّت عليها السلام موضوعات مناسبة خطبتها بدقّة متناهية، إذْ إنّها أخذها من تخصّصاها القرآنية الأصول في تشريع الأحكام النازلة بسببها، وهذا التّلقي قطع جدال الآخر الخصم وأفحمه في ردّ الحجّة أو مراوغته في مماراها وتشويهها أمام النّاس أو أمام التأريخ وتوثيقه.

---

(١) سورة المطففين، الآية: ١٤.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٨.

(٤) ينظر: أدب فاطمة الزّهراء عليها السلام: ٦٩.

ثالثاً: استدلالها نتائج الجزاء والعقاب، وكذا استدلالها في مآل عاقبة القوم ونهاية أمرهم، - وهو ما تبحثه موضوعة اندماج استشرافها عليها السلام بالاستشراف القرآنيّ - تبعاً لتطابق أقوال القوم الخصم وأفعالهم وأعمالهم على الأقوام الذين حاربوا الأنبياء والرسل السَّابقين وأوصيائهم وأبنائهم، وكانوا مصداقها المماثل في تطابق الأعمال وخواتيمها وجزاءاتها الدّنيوية والأخروية.

رابعاً: أخذ استدلالها على الآخر الخصم الظالم ومن معه، طابع انتقاء الآية وجزئها لدى توظيفهما بتشكيل خطاب حُجيّتها في باب تخصيص مورد الفكرة التي يحملها كلّ نصّ من مقاطع خطبتها العصماء، فلم تترك للآخر الخصم نفسه ومن يناصره على مرّ العصور، ثغرة أو فراغاً في تحريف مطلب الاستدلال أو تغيير عنوانه.

ومن ثَمّ لن يقبل استدلالها التأويل وتزييف في استبدال أسماء الظّالمين لأبيها الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم ولبعلها الإمام عليّ عليه السلام لها عليها السلام ولأهل بيتها المعصومين المُطهّرين عليهم السلام، ويُبقِي الوثائق والحقائق محفوظة مصونة للتأريخ، ولمن ينشد الحقيقة وواقعها.

الفصل الثامن

إشارة التطابق المتبادل على إشارة بعلها الإمام علي عليهما السلام وقصدها

المبحث الأول: الإشارة وتطابقها المتبادل.

المبحث الثاني: قصدية التطابق المتبادل.

المبحث الأوّل: الإشارة وتطابقها المتبادل

توافق أُفق خطاب الخطبة الفدكيّة مع أُفق خطاب الخطبة الشّقشقية وانصهر فيه، عَبْر نداء الخصم والإشارة إليه، والتي يفتتحها الإمام عليٌّ عليه السلام بقوله: **«أَمَا وَاَللّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا اِبْنُ أَبِي قُحَافَةَ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ اَلْقُطْبِ مِنَ اَلرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي اَلسَّيْلُ وَلاَ يَرْقَى إِلَيَّ اَلطَّيْرُ...»**[1]، فكانت الإشارة في خلال هذا التّوافق والاندماج إلى تذكير الخصم وتقييده بالحجّة الدّامغة بالذي فعله ويفعله، وهذا أحد الاستدلالات التي تثبت ارتباط مطالبة السَّيّدة الزهراء عليها السلام بحقوق مقام النبوّة وولاية الإمامة وإرثها من أبيها رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم معاً في خطاب واحد.

وفي الوقت نفسه توثيقها للتأريخ أنّ الظالم لأبيها النّبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هو الظَّالم نفسه لبعلها الوصي ولي الله وخليفته الإمام عليّ عليه السلام، وهو نفسه مَن ظلمها ومنعها إرثها وسلب حقوقها وغصب أرضها، لذلك قالت: **«أَيُّهَا**

(١) نهج البلاغة: تحـ/ السّيد هاشم الميلانيّ: ٧٦، ونهج البلاغة: تحـ/ فاتن محمّد خليل الليوت: ٣٤، وتصنيف نهج البلاغة: لبيب بيضون: ١/٤٤٢. وشرح ابن أبي الحديد: ١/١٥٣.

الْمُسْلِمونَ أُاغْلَبُ عَلى اِرْثِيَهْ يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ؟! أ في كِتابِ اللّهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، وِلا أرِثَ أبي؟ { لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيًّا **} ، أَ فَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، إذْ يَقُولُ: {** وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ **} ، وَقالَ فيمَا اقْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَي بْنِ زَكَرِيّا عليهما السلام اذْ قالَ رَبِّ {** هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِياً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ **} وَقالَ: {** وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّه **} وَقالَ: {** يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ **} ، وقال: {** انْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ **} ، وزَعَمْتُمْ أَلَا حِظوَةَ لِي، وَلا إرْثَ مِنْ أبي لا رَحِمَ بَيْنَنَا!، أَ فَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أخْرَجَ مِنْها أبِي؟، أمْ هَلْ تَقُولُونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثَانِ، وَلَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟!، أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي؟، فَدُونَكَها مَخْطُومَةً مَرْحُولَةً، تَلْقاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ، وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيامَةُ، وَعِنْدَ السّاعَةِ ما تَخْسِرُونَ، وَلا يَنْفَعُكُمْ إذْ تَنْدَمُونَ، {** وَلِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ **}».**

فالتفات خطاب ندائها المباشر من جمع الجماعة (أَيُّهَا الْمُسْلِمونَ) إلى نداء الخصم الظّالم المفرد رأس الظّلم (أ اُغْلَبُ عَلى اِرْثِيَهْ يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ؟!)، دليل قصديتها الإشاريّة إلى التّوافق مع نهج البلاغة، والتّوثيق للتّأريخ في الوقت نفسه، وكذا إثبات اجتماعه بالمسلمين على ظلمها وأهل بيتها (أصحاب آية التّطهير) عليهم السلام ، وإلّا ما فعله كلّ الذي فعله! من أجل ماذا؟

وفي مورد آخر تؤكّد أمر هذه القصديّة في ذكرها له باسم كنية أبيه، عندما رجعت إلى دارها وشكت ظلامتها لبعلها وابن عمّها ووصي أبيها النّبي الأكرم والرسول الأعظم

صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته من بعده الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ، قائلة عليها السلام: **«هَذا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ يَبْتَزُّنِي نُحَيْلَةَ أبي وَبُلْغَةَ ابْنِي، لَقَدْ أجْهَرَ فِي خِصامِي، وَالفَيْتُهُ أَلَدَّ فِي كَلامِي، حَتَّى حَبَسَتْنِي قَيْلَةُ نَصْرَها، وَالْمُهاجِرَةُ وَصْلَها، وَغَضَّتِ الجَماعَةُ دُونِي طَرْفَها؛ فَلا دافِعَ وَلا مانِعَ، خَرَجْتُ كاظِمَةً، وَعُدْتُ راغِمَةً»**[1].

إلّا أنّ أبا الحَسَن عليه السلام كان وفياً مطيعاً لرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بوصيته له التي أوصاه فيها بأن يصبر سباً (أي: ثلاثون سنة) على ما يجري بعد استشهاده صلى الله عليه وآله وسلم من فتن وظلم عليه وعلى أهل بيته عليهم السلام[2]. ونلحظ إشارة قولها إلى (ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ) بكُنية أبيه وباسم الإشارة (هَذَا) الدّال على الشخص المحدّد القريب منها، واشتغل (هَذَا) على تثبيت الشّخص الخصم فاعل الظُّلم (ابْن أَبِي قُحَافَةَ) فحصره إشارياً وتركيباً بينه وبين فعل المضارعة (يَبْتَزُّنِي)، كما يوضّحه الرّسم الآتي:

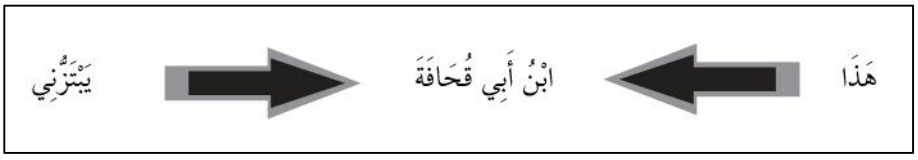

وفي ضوء ما تقدّم من تحليل مكثّف وكشف جليّ وبيان موجّز، تتبلور قصدية إشارتها عليها السلام إلى نهج البلاغة، وتتكفّل بعرضها الموضوعة اللاحقة.

(١) الاحتجاج: للطّبرسيّ (أق٦): تحـ/الشّيخ إبراهيم البهادريّ والشّيخ محمّد هادي: ١/٢٥٣.

(٢) ينظر: أصول الكافي: ١/٢٨١، وينظر: بحار الأنوار: ٢٢/٤٧٩، وينظر: المعجم الكبير للطّبرانيّ: ١١/٦٠. وينظر: تأريخ دمشق لابن عساكر: ٤٢/٣٢٢، وينظر: شرح ابن أبي الحديد: ٣/٢٧٢.

المبحث الثّاني: قصدية التّطابق المتبادل

إنّ قصدية السَّيّدة الزهراء عليها السلام من وراء توافق الأُفق مع خطاب نهج البلاغة وانصهاره في احتجاجها على الآخر المُخَاطَب باسم كُنية أبيه (ابْنَ أبي قُحافَةَ)، لأنّه مشهورٌ بها بين الأقوام كلّهم أوّلاً، ولا وجود لَمن يُعرف ويشتهر بمثلها ثانياً، ولو كان خطاب ندائها بكُنيته هو (أبو بكر) لحدث الخلط واشتبهت الحقائق، ولربّما تُحرّف وتُزيّف على النّاس والتأريخ عَبْر العصور، لكثرة مَن عرفوا بكُنيته نفسها ثالثاً، وتأكيد فعل ظلمه الواقع الحاضر في منع إرثها وغصبه، بفعل ظلم تقمصه الماضي الخلافة وسلبها من صاحبها بدعوى الشُّورى، كما تعدى من قبلُ وتجاوز على مقام نبوة رسول الله أبيها صلى الله عليه وآله وسلم رابعاً.

الفصل التاسع

أسرار تكرار الكلمة المفتاح ووظيفته الحجاجية

المبحث الأول: تكرار كلمة لفظ الجلالة (الله) جل جلاله.

المبحث الثاني: تَكرار كلمة (أَبِي) أبيها عليها السلام

رسول الله مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم

المبحث الثالث: تكرار كلمة (ابن) عمّي

و(الأخ) لشخص الإمام عليّ عليه السلام.

المبحث الرابع: تكرار كلمة (كِتَاب الله) سبحانه القرآن العظيم.

توطئة وتقديم

إنّ للتّكرار في بنية الخطاب الحِجاجيّ لدى كلّ قسم من أقسامه أسراراً، كما أنّ له وظيفته التي تشكّل عاملاً مهماً في تثبيت مراد المنشئ (المتكّلم أو الخطيب)، وتوكّده توكيداً لفظياً وموضوعياً متجاوباً مع غرض مناسبة الخطاب الحجاجيّ الرئيس، إذْ هو من أبرز الأساليب الحِجاجية لما له من دور فاعل ضمن مكوّنات الحِجاج ليس على مستواه البديعي الجماليّ فحسب، بل في رسالته الإقناعية وبلوغه بحجّيته المبلغ الأبعد، لمنحه الحجج والبراهين طاقة مضاعفة تحدث في المتلقّي أثراً جليلاً، وتعمل بفاعلية قصوى في إقناعه وحمله على الإذعان[1]، من حيث إنّ الأساليب البلاغية في توظيفها الحِجاجيّ قد يتم عزلها عن سياقها البلاغيّ.

وتتعدى وظيفتها الجمالية إلى وظيفةٍ إقناعية استدلالية، لما فيها من خاصّية التّحول لأداء أغراض تواصلية، ولإنجاز مقاصد حِجاجية[2]، وفي البرهة نفسها يعمل على انسجام الوحدة النّصية لبنيته الكليّة للفكرة الموضوعية الواحدة، من مجموع

(١) ينظر: الإقناع في الخطاب القرآنيّ: هشام بلخير (رسالة): ١٣٦ وما بعدها. و ينظر: الحِجاج في النّص القرآنيّ - سورة الأنبياء أنموذجاً-: إيمان درنوني (رسالة): ١٦٠.

(٢) ينظر: التّداولية والحِجاج –مدخل ونصوص-: صابر الحباشة: ٥٠.

الأفكار التي تكوّن بناءه العامّ الكلّي، حيث يحمل على تركيبها وسياقها حُجّيّة الاحتجاج والاقناع اللذَينِ يقصدهما المنشئ نفسه، هادفاً بهما تغيير قناعة المخاطَب المتلقّي أو إلقاء الحجّة عليه في تثبيت علمه بمخالفةٍ ما أو انحرافٍ عن جادة سبيل الحقّ أو تسجيل موقف المواجهة ضدّ موقفٍ من مواقفه الباطلة أو إحداث ثورة نفسية وعقلية معاً، لأخذ الاعتراف وكشف حقيقته أمام التأريخ وأمام توثيقه بصدقٍ من دون تحريف ولا تزييف؛ ولقد أولت الدراسات الحجاجية موضوعة التّكرار أهمية خاصّة في بنية مكونات الخطاب الحجاجيّ لما لوظيفته التي أشرنا إليه آنفاً من وقع مؤثر في توجيه المُخاطَب المخصوص والمتلقّي بصورة عامّة، فضلاً عن البُعد الصوتي وإيقاعه الذي يولّده التّكرار في ذهن المتلقّي المخاطَب، له تأثير مباشر في تغيير سلوك المخاطب وعلاقة ترابطية بالحال النفسية والتجربة تفاعلاً مع الحدث(١).

ممّا يكون له صدىً بفعل ترداداته الصّوتية المتكررة في قرارة نفسه تتفاعل مع ما يشعر به من احتجاج خطاب المنشئ الموجّه إليه إيجاباً وسَلباً، لخصوصية قدرته على توليد المعنى، وعلى تحديده داخل النّص وتأطيره(٢).

وهذا ما ألمحناه في تكرار كلمة خطاب السَّيّدة الزّهراء عليها السلام الحجاجيّ، إذْ كرّرت كلمات جعلتها هي المفتاح الذي يعضّد موضوع الغرض الرئيس ويثبّته، ويدلّ في الوقت نفسه على الحقيقة التي تريد إثباتها وتأكيدها وحفظها وترسيخها في ذهن المخاطَب وللمتلقّين في العصور كلّها.

---

(١) ينظر: النّص الحِجاجيّ العربيّ –دراسة في وسائل الإقناع-: محمّد العبد (بحث): ٦٢ وما بعدها. وينظر: استبار التّكرار، استبار التّلقي تكرار التراكم: أ.د.عبد الكريم راضي جعفر: ٩٠.

(٢) ينظر: فاعلية التّكرار في بِنية الخطاب الشّعريّ: عبد الفتاح يوسف (بحث): ٣٠ و٤٤.

المبحث الأوّل: تكرار كلمة لفظ الجلالة (اللّه) جل جلاله

بعد إجراء الإحصاء الأسلوبيّ بكلمات غرض الخطبة الرئيسة وعناصرها، ألمحنا أنّ السّيدة الزهراء عليها السلام ذكرت لفظ الجلالة (الله) (سِتّين / ٦٤) مرّة في خطابها الحجاجيّ بوجه الخصم وقومه تذكيراً له بالله الذي لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم عن ظلمه وإيذائه لها، وغضب إرثها وسلب حقّها، فضلاً عن ملحقها الحواري مع أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام ، حيث توزّع تكرار ذكرها (الله) في مواقف متعددة، واستدلالات متنوعة، وإضافات مخصوصة، وفي أحوالها الحجاجيّة كلّها، كانت قاصدة إيّاها، ولم تنسها ذكر (الله) مواقف ظلم الخصم، وما وقع عليها من أذى الظلامة منه ومن قومه، بدليل أنّها كرّرت كلمة لفظ الجلالة (الله) أكثر من كلمات مفاتيح خطابها كلّها، وبدأته مستهلة ديباجة خطبتها بـ(الحَمْد لله)، وختمت كلامها عند حوار بعلها الإمام المرتضى عليه السلام بذكرها (الله) حال طلبه منها الاحتساب، فقالت: **«حَسْبِيَ اللهُ»**، فتحصيل الحاصل بدأت بحمد (الله) وختمت بالاحتساب إليه.

وذكرها العرفانيّ بـ(الله)، يدل على تسليمها وانقطاعها المطلق إلى (الله)، وعمق ارتباطها بـ(الله) ومعرفتها بعموم كتابه القرآن العظيم وخصوصه وأحكام شرعه في

حركاتها وسكناتها كلّها، وفي نطقها وسكوتها وأحوالها جميعاً. وفي الوقت نفسه تثبت وتوثّق للتأريخ الحاضر لها والقريب منه والبعيد أنّها الحقّ الأحق النابع من ملازمتها الله، في قبال كشف تقابل الضدّ لصورة علاقة الخصم وقومه بالشّيطان - حلّلناها تفصيلاً عند موضوعة تشخيص علاقتهم أنفاً -، وكانوا جنده وأولياءه ومن قبلُ آباؤهم كانوا هم الشَّياطين حقّاً، وفعلوا ما فعلوا من ظلم على أبيها النّبي الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعدهِ عليها وعلى حقوقها وعلى أهل بيتها عليهم السلام.

المبحث الثّاني: تَكرار كلمة (أبي) أبيها رسول اللّه مُحَمَّد صلى اللّه عليه وآله وسلم

رصدتِ القراءة ووجدتْ بعد تأملها في أسلوب خطاب حِجاجها النّصي، أنّ كلمة (أَبِي) تكررت (اثنتي عشرة مرة /١٢)، إذْ جاء عدد هذه المرّات الاثنتي عشرة متوافقاً مع عدد فاصلات ديباجة الخطبة الذي هو (اثنتا عشرة /١٢) فاصلة، وهذا لم يكن محض مصادفة، بل هو عماد أساس هندسة إنشاء السَّيّدة الزهراء عليها السلام لِحِجَاج خطابها الفدكيّ، وكأنّها تريد بيان أنّ مرجع كلّ شيء إلى (أَبِي) فلا حمد ولا شكر ولا ثناء يتقبّله اللهُ إلّا بالإيمان المُطلق برسالته الإلهية، وما جاء به من حلال الله الطيّب الذي هو حلالٌ إلى يوم القيامة، وما حرّمه من الحرام الذي هو حرامٌ إلى يوم القيامة أيضاً، لأنّه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ (١).

وفي البرهة نفسها أنّ تكرار مفردة (أَبِي) اثنتي عشرة مرة إثبات وكشف للمتلقين في زمن الحاضرين والغائبين، وكذا في سائر الأزمنة اللاحقة بها كلّها، على أنّها مطالبة

(١) سورة النجم، الآيات: ٣-٥.

بحقّها من إرث أبيها، وليست كما كان زعم القوم بادعائهم أنّها ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورسول الله ما يورث، بحسب ادّعاء الخصم الظّالم لها ابن أبي قحافة، عند استدلاله بحديث: (إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة)، وبإقرار المُحَدِّثين على أنّه حديثٌ انفرد ابن أبي قحافة به[١]، وحتى لو قبلوه فقراءة ابن أبي قحافة له غير صحيحة مخالفة للغة الحجاز في الجزيرة العربيّة آنذاك!، من حيث إنّ (ما) الواردة في الحديث هي (ما) الحجازيّة التي بمعنى (ليس) نافية لحصول إثبات أنّ النّبي لا يورث الذي يتركه صدقة!

بتعبير آخر أنّ النّبي يورّث لأولاده كسائر المسلمين الذين يطبّق عليهم حكم الله في كتابه القرآن العظيم، فلا يكون إرثه صدقة للمسلمين لأنّه بمثل هذا مخالف لشرعه في تنزيله الحكيم، فهو مخصوص بقوله الله المجيد: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٢]، وبقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٣] فحاشا له فعل ذلك، حيثُ قرنت رابطة ذكر رسول الله بمفردة (أَبِي) قرينة لفظية على أنّها تطالب بحقّها الشّرعي من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما شرّعه اللهُ في كتابه الحكيم لأولاد الوالدين جميعاً من دون استثناء لا الأنبياء ولا الرسل، كما كان زاعماً ابن أبي قحافة.

ولقد تعدد محطّات تكرار كلمة (أَبِي) من حيث مقامات أبيها النّبي صلى الله عليه

---

(١) الآحاد والمثاني: للشّيبانيّ: حديث ذو العدد -٦١-: ٩١/١. وينظر: تأريخ دمشق: ٢٦٩/٥٨. وينظر: تأريخ اليعقوبيّ: ٢٠١/٢.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

وآله وسلم في الموارد الاثني عشر، التي تسند دلالتها المركزية في خطابها الحجاجيّ:

ففي محطّة مقام الشّهادة (الأوّل)، قالت عليها السلام: **«وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّدَاً صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ».**

وفي محطّة مقام الصّلاة عليه وأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم (الثّاني)، قالت: **«صَلّى اللهُ عَلَى أَبِي نَبِيِّهِ وَأَمِيْنِهِ عَلَى الوَحْيِ».**

وفي محطّة مقام تذكير القوم بمعلوم شأنها ومعرفتهم بأبيها الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم (الثّالث)، قالت: **«اعْلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةُ، وَأَبِي مُحَمَّدٌ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».**

وفي محطّة مقام بيان شخصية رسول الله أبيها وما يتمتع به من صفات وأخلاق وقيم (الرّابع)، قالت: **« { لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيْزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيْصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤوفٌ رَحِيم} فَإِنْ تَعْزُوه وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أبي دُونَ نِسَائِكُمْ، وَأخا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجالِكُمْ».**

وفي محطّة مقام إلقاء سؤال حجيّتها على الخصم في إرث أبيها صلى الله عليه وآله وسلم (الخامس)، قالت: **«يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ؟! أفي كِتابِ اللّهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، وِلا أرِثَ أبي؟ { لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيًّا } ».**

وفي محطّة مقام إثباتها صلة رحمها بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في استفهام حِجاجها على الخصم (السّادس)، قالت: **«وزَعَمْتُمْ أَلَا حِظوَةَ لِي، وَلا إرْثَ مِنْ أَبِي لا رَحِمَ بَيْنَنَا!».**

وفي محطّة مقام ردّها استثناء الخصم الظّالم وقومه لإرث أبيها عَبْر طلبها منهم آية من الله عز وجل فيها خصّهم بها وأخرج منها أباها النّبي صلى الله عليه وآله وسلم

(السّابع)، قالت: **«أَفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أخْرَجَ مِنْها أَبِي؟»**.

وفي محطّة مقام حجّيّة كونها هي وأبيها من أهل مِلّة دين واحد، للخصم الظالم مستفهمة (الثّامن)، قالت: **«أَوَلَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟!»**.

وفي محطّة مقام علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبيها وابن عمّها خليفته ووصيه الإمام عليّ عليه السلام (التّاسع)، قالت: **«أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي؟»**.

وفي محطّة مقام استدلالها بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبيها في حفظه بوُلْدِه (العاشر)، قالت: **«أما كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله أَبِي، يَقُولُ: اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ؟»**.

وفي محطّة مقام اللجوء ببثّ شكواها إلى أبيها الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ودعائها إلى ربّها الإله العظيم بأخذ حقّها وحقوق أبيها وبعلها وبنيها من عدوّها الظالم (الحادي عشر)، قالت: **«شَكْوايَ إِلَى أَبِي، وَعَدْوَايَ إِلَى رَبِّي، اللّهُمَّ أَنْتَ أَشَدُّ قُوَّةً وَحَوْلاً، وَأَحَدُّ بَأْساً وَتَنْكِيْلاً»**.

وفي محطّة مقام عتابها بني قَيلة (الثّاني عشر)، قالت: **«أَيْهَاً بَنِي قَيْلَةَ! أُأهْضَمُ تُرَاثَ أَبِيْه وَأَنْتُمْ بِمَرْأى مِنّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟!»**، إذْ إنّها وردت بالتّصغير مرة واحدة يتيمة في خطابها الحجاجيّ الاستفهاميّ الإنكاريّ (أُبَيْه /١) في أثناء عتاب السَّيّدة الزهراء عليها السلام بني قَيْلة الذين كانوا حاضرين مع الخصم الظَّالم، وخذلانهم في نصرتنا والدفاع عن حقّ إرثها من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحقوق أهل بيتها عليهم السلام.

والنكتة في قصدية التّصغير هي تعظيم هول الظلامة التي وقعت عليها عليها السلام من الخصم الظالم، وفي اللحظة الحجاجيّة نفسها يحمل دلالة رفضها وجودهم المتصاغر مع الخصم وإنكارها إيّاه، وكذا دلالة تصغير موقفهم المتواني المتخاذل الضّعيف الصغير تجاه ردع الظّالم وردّه عن ظلامتها في سلبها إرث أبيها رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، على الرّغم ممّا هم فيه من (مَجْمَعٍ)، وبالمحصلة يجعلهم شاعرين بتقابل الخفاء من حيث إنّ الذي يفعلوه في ظالمها وأهل بيتها عليهم السلام هو فعل كبير عند الله عز وجل وعقابه خزيٌ في الدّنيا وخزيٌ في الآخرة مع عذاب شديد أليم أبديّ، كما عضّد خطاب تكرارها الحجّاجي تكرار آخر لازمه سياقيّاً وحدة الغرض الرئيس، ألّا وهو اشتقاقات جذر الفعل (ورث) التي بلغ عدد تكرارها في خطابها عليها السلام (إحدى عشرة/١١) مرّة، وهي: (إِرْث/٢ - إرثيه - أرث - يتوارثان - ترث - ورث - يرثني - يرث - الميراث). لذلك كان لها جواب تصديقي تثبت فيه صدق نسبها إلى أبيها رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بأنّها (ابنتُهُ) بعد استفهامها التّوبيخي للخصم والذين معه، قائلة: **«أَفَلَا تَعْلَمُون؟، بَلَى تَجَلَّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ أَنِّي ابْنَتُهُ».**

المبحث الثّالث: تكرار كلمة (ابن) عمّي و(الأخ) لشخص الإمام عليّ عليه السلام

نلحظ أنّ السيّدة الزهراء عليها السلام ذكرت الإمام عليّ عليه السلام (ثلاث/٣) مرّات، في خطابها الحِجاجيّ للخصم وقومه، مرّتين بـ(ابن عمّي)، عند قولها: **«أَفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أخْرَجَ مِنْها أبِي؟ أمْ هَلْ تَقُولُونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثَانِ، وَلَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي؟»**.

وكذا قولها: **«أَيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أَنِّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ،... فَإنْ تَعْزُوه وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أبي دُونَ نِسائِكُمْ، وَأخا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجالِكُمْ، وَ لَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إلَيْهِ صَلى الله عليه وآله»**.

ومرّة واحدة بـ(الأخ)، أي: بالأخوة الإلهية متبادلة الأدوار والأهداف في ارتباط النّبوة بخلافة الإمامة والوصاية والمشاركة بينهما في الجهاد[1]، عند قولها: **«فَأنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صَلى الله عليه وآله بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ**

(١) ينظر: أدب فاطمة الزهراء عليها السلام: ٤٨.

وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، { كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَها اللهُ } ، أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخاهُ فِي لَهَواتِهَا، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً فِي ذاتِ اللّهِ، مُجْتَهِداً فِي أَمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللّهِ سِيِّدَ أَوْلِياءِ اللّهِ، مُشْمِّراً ناصِحاً، مُجِدّاً كادِحاً».

لذلك قالت: (قَذَفَ أخاهُ فِي لَهَواتِهَا)، لماذا؟، لأنّ مَهَمَّة حمل مسؤولية الدفاع عن الإسلام والدِّين الحنيف، لا تكون إلّا لوصي النّبي وخليفته المنصوص من الله، وهذا ما أثبتته المواقف مع الصحابة كلّهم، أنّهم في حال اشتداد الوطيس يهربون! ويتركون رسول الله وحده في ساحة الحرب، كما حدث في (أُحُد)، و(الأحزاب)، والقائمة طويلة..!. وعليه فوصف السيّدة الزهراء عليها السلام للإمام عليّ عليه السلام الذي أشفعته بذكره مباشرة لم يكن جزافاً ولا اعتباطاً في مقام حِجاجها حاشا لها هذا، بل لأنّها تريد تذّكر القوم من هو ابن عمّها في تأريخ الإسلام، وفي مواقف العظيمة في نصرته والدفاع عنه، وما مقامه عند الله ورسوله ومكانته منه، لذلك قالت: **«مُجْتَهِداً فِي أَمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللّهِ سِيِّدَ أَوْلِياءِ اللّهِ».**

وهنا سؤال يعرض نفسه، ما علاقة ذكر السيّدة الزهراء عليها السلام الإمام عليّ عليه السلام بغرض خطبتها الرئيس؟، كما كان يزعم ويدّعي المخالفون أنّ غرضها خروجها مطالبة بفدك وحقوق إرثها من أبيها!

لذلك هذا يثبت ما قلناه هناك لدى صدر البحث في قراءة مناسبة الخطبة وأحداثها المتزامنة معها، من أنّها خرجت محاجِجَة الخصم وقومه ومدافعة عن مقام النّبوة والإمامة وحفظ كتاب الله والدعوة إلى تطبيق أحكامه التي أنزلها الله وشرّعها فيه.

من هنا نلمح ذكرها عليها السلام الإمام عليّ عليه السلام في مقامات حِجَاجها

المُهِمَة الرئيسة التي تذكر فيها أباها رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، والإمام عليّ عليه السلام يأتي ذكره مباشرة؛ كما مرّ قولها: «...أَبِي وَابْنِ عَمِّي...»، و(الواو) دلّت على الترتيب المعنويّ والتعقيب هنا، جعلت الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليّ عليه السلام شيئاً واحداً في عطفها المُبيِّن العلاقة بينهما، وبحكمها التركيبيّ الذي أفاد الجمع والقربة بينهما أيضاً، إذْ دلّ السياق كذلك على أنّ أحدهما لا يستغني عن الآخر في البُعْد التكوينيّ، و(...أَخَا ابْنِ عَمِّي دُوْنَ رِجَالِكُمْ...)، الإضافة تفيد أنّ الإمام عليّ عليه السلام من رسول الله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم منه، كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: **«أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ»**[1]، (...قَذَفَ أخاهُ...) و(الهاء/هُ) الضمير الملاصق المتصل عائد إلى رسول الله أبيها صلى الله عليه وآله وسلم ، وعليه فذكره لم يكن عابراً في خطاب حِجاجها، بل له اشتغاله في بابه الذي وظّفته لدى مكانه النّصي الذي تجسّدُه (البَعْديّة) المقصودة مباشرة من السيّدة الزهراء عليها السلام، بأنّ خلافة الإمام عليّ عليه السلام هي المنصوصة من الله (بَعْد) رسول الله أبيها صلى الله عليه وآله وسلم كما تبيّن آنفاً.

(١) صحيح البخاري: باب مناقب الإمام عليّ بن أبي طالبٍ عليهما السلام: ١٢/٤٦٧.

المبحث الرّابع: تكرار كلمة (كِتَاب اللّه) سبحانه القرآن العظيم

لقد تكرّرت كلمة (كِتَاب) في خطاب حجاج الخطبة الفدكيّة (تسع مرّات /٩)، في ثمانٍ منها حاججت السيّدة الزّهراء عليها السلام بها الخصم المخاطَب وقومه جاعلة إيّاها مضافة إلى لفظ الجلالة (كِتَاب الله)، وواحدة يتيمة جعلتها معرفة بـ(الـ / الكِتَاب)، وأضافت إليه قوماً سابقين كانوا منحرفين مردة من (أَهْل الكِتَاب)، وبهذا التعبير الحجاجيّ كانت السّيدة الزهراء عليها السلام قاصدة بتكرار كلمة (كِتَاب) من دون غيرها من كلمات أسماء القرآن الكريم، تخصيص الدّلالة بـ(كِتَاب الله)، وهذا التّخصيص يعمل على بيان شيئينِ هما:

الأوّل: يخصّص ببيانه دلالة **(كِتَاب الله / القُرآن)** من دون سائر كُتُب السَّماء الأُخَر.

الثّاني: يثبت حقيقة وجوده مدوّناً في زمن رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وحتى بعد استشهاده سموماً، لا كما زعم القوم خلاف هذا! وراحوا بزعمهم مانعين الرّواة تدوين الحديث لأغراض بيّنتها الوثائق التّأريخيّة.

ولإثبات هذه الحقيقة وتأكيدها، عمدت السّيدة الزّهراء عليها السلام أن تجعلهما (الإثبات والتّأكيد) يشتغلان بوظيفتين في آنٍ واحدٍ:

الوظيفة الأُوْلى أدّاها التَّكرار بتعدد مرّات ورود كلمة (كِتَاب الله) بالعدد نفسه آنف الذّكر.

والثّانية جاءت ملازمة للتّكرار عَبْر الإضافة المُتحقِّقة بين كلمة (كِتَاب) ولفظ الجلالة (الله عز وجل)، إذْ إنّها تفيد ثبوت تحقّق (كِتَاب الله) وتأكيد وجوده، ونماذج التّكرار الحجاجيّ لكلمة (كِتَاب) في خطابها، تكشف لنا ما تقدّم القول فيه، وهي الآتية:

ففي تكرار (المرّة الأُوْلى) وظّفت كلمة (كِتَاب) مفتاحاً رئيساً لتخصيص دلالته المقصودة بـ(كِتَاب الله / القرآن)، ودفعت به شبهات زعم الخصم وقومه وأبنائهم على مرّ الزّمن كلّه، فقالت عليها السلام: **«... وَزَعَمْتُمْ حَقٌّ لَكُمْ للهِ فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ. كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصَّادِقُ...»**، وعضّدته بمفردة (استَخْلَفَها) الدالة على يقين وجود الكِتَاب المادي مدوّناً وإلّا كيف يصدق عليه الاستخلاف إذاً وتحاججهم به؟

لذلك تكفّل تكرار (المرّة الثّانية) الذي جاءت به عليها السلام لتؤكّد هذا الوجود ومُنكِرة على الخصم كذبه وافتراءه، قائلة: **«فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنّى تُؤْفَكُونَ؟ وَكِتابُ اللّه بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ»**، نلحظ قولها الحِجاجيّ عليها السلام (وَكِتَابُ اللّه بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ)، بعد إثبات وجوده (بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ)، من حيث إنّ (بَيْنَ) الظّرفيّة أضيفت إلى مكان تواجد الخصم ومن معه بصيغته الصّرفية الجمعيّة للقلّة (أَفْعُل = أَظْهُرِكُمْ) لأنّها بعددهم المكانيّ المشخّص، وفي البرهة نفسها أعطى معنى قلّة عمل الخصم بالقرآن الكريم على الرّغم من وجوده بينهم، فحملت الدلالة المكانيّة

لوجود (كِتَاب اللّه) حقيقة (ماديـاً = مكتـوب مـدوّن)، و(معنويـاً = محفـوظ في صـدور القـرّاء والحفظـة)، ويـراه الخـصم وقومـه ويـسمعونه، حـتى أنّهـا عليهـا الـسلام أشـفعته بوصفٍ دقيقٍ، وبدلالات تـصوير سـاندة إليـه في حقـل واحـد، هـي؛ (أُمُـورُهُ ظـاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِـرُهُ لائِحَـةٌ، وَأوامِـرُهُ واضِـحَةٌ)، فـ(ظـاهِرَةٌ - زاهِرَةٌ - باهِرَةٌ - لائِحَةٌ - واضِحَةٌ)، ومنْ ثَمَّ ألقت خطابها مصرحة بتحقّق ترك العمل به ومخالفته؛ (قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ)، فـ(وَرَاءَ) ظرف مكان أضافته السيّدة الزهراء عليها السلام إلى صيغة جموع الكثرة (فُعُول = ظُهُورِكُمْ)، لأنّهـا في موقـف بيـان كثـرة مخالفة الخصم القرآن الكريم وسعتها، وبُعدهم عن تطبيقه بأحكامه وشرع الله تعالى فيه، ذلك قالت لهم عليها السلام: **«قَـدْ خَلَّفْتُمُـوهُ وَراءَ ظُهُـورِكُمْ»**، وتوظيفهـا (قَـدْ) قبـل الفعل الماضي المضعّف (خَلَّفْتُمُوهُ) أثبتت معنى يقـين التحقّـق الـذي هـدفت إلى كـشفه وتصويره السيّدة الزّهراء عليها السلام.

وبعد عرض إثباتهـا بمفتـاح وسـيلتها الإقناعيّـة العامّـة، يـأتي تكـرار (المـرّة الثّالثـة والرّابعة) لتحاجج الخـصم (ابـن أبي قحافـة) ومـن معـه بأحكـام (كِتَـاب الله / القـرآن) الخاصّة بالإرث والحقوق، مع بقاء إثباتها وجوده فيهم، فتقول: **«أَيُهَا الْمُسْلِمونَ أَأُغْلَبُ عَلى ارْثِيَهْ يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ؟! أفي كِتابِ اللّهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، وِلا أرِثَ أبي؟ {لَقَدْجِئْتَ شَيْئاً فَرِيًّا} ، أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ»**.

إذْ كانت أسئلتها؛ **«أفي كِتابِ اللّهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، وِلا أرِثَ أبي؟»**، **«أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ»**، لهم كحجارة السجّيل على رؤوسهم، (لأن كتاب الله موضع اهتمام السيّدة فاطمة وعنايتها)[١].

(١) أساليب الإنشاء في كلام السيّدة الزهراء عليها السلام: ٩٩.

ولهذا كان تكرار (المرّة الخامسة) كاشفاً حقيقة الخصم وقومه منذ أيّام حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد مصيبة موته باستشهاد العظيم، بأنّهم مصداق الذين انقلبوا وينقلبون، ولقد أعلن بها (كِتَاب الله / القرآن)، وبيّن الأحداث التي تجري على يد الخصم وقومه أنفسهم، فقالت: **«أَتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ صلّى الله عليه وآله؟! فَخَطْبٌ جَليلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ، وَأَكْدَتِ الْآمالُ، وَخَشَعَتِ الْجِبالُ، وَأُضيعَ الْحَرِيمُ، وَأُزيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَماتِهِ. فَتِلْكَ وَاللهِ النّازِلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصيبَةُ الْعُظْمى، لا مِثْلُها نازِلَةٌ وَلا بائِقَةٌ عاجِلَةٌ أَعْلَنَ بِها كِتابُ اللهِ -جَلَّ ثَناؤُهُ- فِي أَفْنِيَتِكُمْ فِي مُمْساكُمْ وَمُصْبَحِكُمْ هِتافاً وَصُراخاً وَتِلاوَةً وَإِلحاناً، وَلَقَبْلَهُ ما حَلَّ بِأَنْبِياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضاءٌ حَتْمٌ: { وَما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشّاكِرِينَ }».**

لذلك تحاججهم في تكرار (المرّة السّادسة والسّابعة) بنفي الصَّدف والمخالفة عن رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لـ(كِتَاب الله)، وتؤكّد اتباعه أثره المبارك، واقفاءه سوره الكريمات، وتثبت يقين كون (كِتَاب الله) حَكَماً عَدْلاً، وَناطِقاً فَصْلاً، وتقول: **«سُبْحانَ اللهِ! ما كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله عَنْ كِتابِ اللهِ صادِفاً، وَلا لِأَحْكامِهِ مُخالِفاً، بَلْ كانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَيَقْفُو سُورَهُ، أَفَتَجْمَعُونَ إِلى الْغَدْرِ اغْتِلالاً عَلَيْهِ بِالزُّورِ ؛ وَهذا بَعْدَ وَفاتِهِ شَبِيهٌ بِما بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوائِلِ فِي حَياتِهِ. هذا كِتابُ اللهِ حَكَماً عَدْلاً، وَناطِقاً فَصْلاً، يَقُولُ: { يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ } ، { وَوَرِثَ سُلَيْمانَ داوُدَ } فَبَيَّنَ عَزَّ وَجَلَّ فيما وَزَّعَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَقْساطِ، وَشَرَّعَ مِنَ الْفَرائِضِ وَالْمِيراثِ، وَأَباحَ مِنْ حَظِّ الذُّكْرانِ وَالْإِناثِ ما أَزاحَ عِلَّةَ الْمُبْطِلِينَ، وَأَزالَ التَّظَنّي وَالشُّبُهاتِ فِي الغابِرِين».**

ومنه ختمت تكرار كلمة (كِتَاب الله) بـ(المرّة الثّامنة) من خلال استشهادها آيات (كِتَاب الله / القرآن) الصّريحة على الخصم وقومه، والتي تفيد دلالة عموم الإطلاق وشموله بأحكام الإرث بين أولي الأرحام من دون استثناء أحد لا من الأنبياء ولا من غيرهم، وأسندته بمفردات الإرث (وَرِثَ - يَرِثُنِي - يَرِثُ) التي حوتها الآيات التي قصدت اختيار توظيفها السّيدة الزّهراء عليها السلام، -تقدّم التّحليل فيها عند معالجة الموضوعة السّابقة-، من هنا قالت: **«أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، إِذْ يَقُولُ: { وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ } ، وَقالَ فيمَا اقْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَي بْنِ زَكَرِيّا عليهما السلام اذْ قالَ رَبِّ { هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِياً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ } وَقَالَ: { وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّه }»**.

أمّا تكرار كلمة (الْكِتاب) (التَّاسع) المعرفة بـ(ال)، فهي المرّة اليتيمة في خطاب حجاج الفدكيّة كلّه، والذي أراد به كشف مقتضى حال الخصم وقومه، ومطابقتهم بقوم هم (بُهَم الرِّجالِ وَذُؤْبان الْعَرَبِ وَمَرَدَة أَهْلِ الْكِتابِ) سابقين لهم فعلوا فعلهم وعملوا عملهم بمخالفة (كِتَاب الله) وضدّه في زمن نبيّهم ورسولهم، فأصبحوا مثلهم وصدق تشابه صورهم التي كانوا عليها بنبذ (الكِتَاب)، وترك العمل به والعمد بمخالفته وخلفه وراء ظهورهم والسّخرية والاستهزاء به أيضاً، لذلك جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووجدهم على ما هم عليه فأنقذهم الله به صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى الرّغم من ذلك بقوا يخططون لفتن الحرب وإثارها، وهذا هو ما كشفته السّيدة الزّهراء عليها السلام وصوّرته في خطاب حجاجها على الخصم وقومه، بقولها: **«فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صَلى الله عليه وآله بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، { كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَها اللهُ }»**.

الفصل العاشر

جمالية تكثيف الكلمة الموضوع وأسراره

توطئة

إنّ موضوعة التّكثيف في النّقدين الحديث والمعاصر، من الموضوعات المهمّة الجديدة القديمة ذوات الجذور الضاربة في أعماق النّصوص العربيّة التراثيّة، نثراً وشعراً، والتي أولاها النقاد القدماء عنايتهم الخاصّة، فعرف عن تداولهم المثل النّقديّ السائر: (خَيْرُ الكَلَامِ مَا قَلَّ وَدَلَّ)، وبقي متداولاً حتى زمننا هذا نجد البلاغيّين المُحْدَثين لا يقلّون اهتماماً عن القدماء منهم، إذْ على غرارهم أدخلوه في باب (الإيجاز)، وأسماه بعضهم (الاختزال)، أو (الاختصار)، أو (الاقتصاد اللّغويّ)، أو (التكثيف الدّلاليّ)، وقبال هذا كانوا يؤكدون في بعض المواطن، أنّ زيادة مبنى المفردة محصلتها تتبعه زيادة معناها.

ومن هنا تتجلّى أهمية قصديّة المنشئ (المتكلّم أو الكاتب أو النّاظم) في بناء نصّه أو في تكوين خطابه، إذْ إنّ مقتضى الحال يلازم مطلب الموضوعة وأحداثها التي تؤسس مناسبتها، ومستوى تلقّيه أي: (المنشئ) لهما معاً، فضلاً عن علمه إيّاهما ظاهراً وباطناً، وعلى الخصوص إذا كان علمه علماً لَدُنيّاً من الله عز وجل.

وهذا ما نلحظه في تكثيف السيّدة الزهراء عليها السلام للكلمة الموضوع وجماليته الرّائعة، إذْ ينماز بكنه أسرار لطائفها وجمالية حقائقها القرآنيّة التي شحنته بها أيضاً، وهكذا هم أهل البيت عليهم السلام (عِدْلُ القُرآنِ كِتَابِ الله عز وجل وَوَحْيُهُ)

في نطق كلامهم، وحركة عملهم، وأدب تعاملهم، قال الإمام الحُسَينُ عليه السلام: **«كِتَاب اللهِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاء: العِبَارَة وَالإِشَارَة وَاللَطَائف وَالحَقَائق، فَالعِبَارَةُ لِلعَوَامِ، وَالإِشَارَةُ لِلخَوَاصِّ، وَاللَطَائف لِلأَوْلِيَّاءِ، وَالحَقَائِقُ لِلأَنْبِيَاءِ عليهم السلام»**[١].

والسيّدة الزهراء عليها السلام عَبْر تركيب بناء تكثيفها المكوّن من (جملة التّكثيف = [الكلمة الموضوع المُكثَّفة] + [النتيجة = المُكثِّف به + مُسند التّكثيف])، فإنّ مقام موقفها وسياقه الحالي حتّم عليها المواجهة المباشرة في اختصار إيصال نتيجة (الكلمة الموضوع) وفائدتها ومبتغاها وسرّ حكمها وتشريعها، ودقّة العمل بها والابتعاد عن تركها وتعطيها؛ لأنّها المشرّع وهو (الله سبحانه)، له في أحكامه العامّة والخاصّة وما بينهما (حكمة) في وضعها الزمكانيّ؛ أيّ ارتباط أدائها في زمنٍ موقوت مخصوص، وكذا بمكان معينٍ محدّد أوّلاً، وفي أمره بكيفية أدائها؛ التزام الإنسان بتطبيقها على الهيأة التي يريدها الله والتي بلّغها على لسان أنبيائه ورُسُله عليهم السلام ثانياً، وفي المصالح المترتبة من وراء العمل عليها وتطبيقها ثالثاً. ففي خلال هذه كلّها جاء تكثيف السيّدة الزهراء عليها السلام وكشفت أسرار أحكام (الكلمات الموضوع) الإلهيّة وعللها التشريعيّة، مباشرة في خطاب الخصم الظالم وقومه، وكذا مَن شهد السيّدة عليها السلام وسمع بيانها لهم وخطاب حُجّتها عليهم رابعاً.

من نماذجه في خطابها الفدكيّ، الأنموذج الآتي الذي كثّفت فيه السيّدة الزهراء عليها السلام (٢٠/عشرين)؛ (كلمةً) من الكلمات (الموضوع)، إذْ تقول: «فَجَعَلَ اللهُ [الإيمانَ] تَطْهيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَ[الصَّلاةَ] تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، و[الزَّكاةَ] تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً فِي الرِّزْق، و[الصِّيامَ] تَثْبيتاً للإِخْلاصِ، و[الحَجَّ] تَشْييداً لِلدّينِ،

(١) جامع الأخبار: ١١٦. موسوعة كلمات الإمام الحُسين عليه السلام: ٦٦٢/٢.

وَ[العَـدْلَ] تَنْـسيقاً لِلْقُلـوبِ، وَ[طاعَتَنـا] نِظامـاً لِلْمِلَّـةِ، وَ[إمامَتَنـا] أمانـاً مِـنَ الْفُرْقَـةِ، وَ[الْجِهادَ] عِزاً لِلإِسْلامِ، وَ[الصَّبْرَ] مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجابِ الأَجْرِ، وَ[الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ] مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ، وَ[بِرَّ الْوالِدَيْنِ] وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ، وَ[صِلَةَ الأَرْحامِ] مَنْماةً لِلْعَدَدِ، وَ[الْقِصاصَ] حِصْناً لِلدِّماءِ، وَ[الْوَفاءَ] بِالنَّذْرِ تَعْرِيضاً لِلْمَغْفِرَةِ، وَ[تَوْفِيَةَ] الْمَكاييلِ وَالْمَوَازِينِ تَغْيِيراً لِلْبَخْسِ، وَ[النَّهْيَ] عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهاً عَنِ الرِّجْسِ، وَ[اجْتِنابَ] الْقَذْفِ حِجاباً عَنِ اللَّعْنَةِ، وَ[تَرْكَ السِّرْقَةِ] إِيجاباً لِلْعِفَّةِ. وَحَرَّمَ اللهُ [الشِّرْكَ] إخلاصاً لَهُ بالرُّبُوبِيَّـةِ، **{ فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَأَطِيعُوا اللهَ فيما أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّه * إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ }** ».

نلمح السيّدة الزهراء عليها السلام في هذا الأُنموذج المختار، قد أعطت القوم المُخَاطَب في رسالة خطابها الفدكيّ المباشر البُعد الغائي - كما تقدّم آنفاً- في هدف كلّ (كلمة) من (الكلمات الموضوع) ونتيجتها العمليّة والعباديّة، وأثرها في حياة الإنسان ومستقبله، وفي بناء أسرته ومجتمعه الذي يعيش فيه.

ففي تكثيف كلمتها (الموضوع) الأُوْلى، قالت: (الإيمان) خلاصته النهائية: **«تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ»**، وكان بإمكانها أن تطيل الكلام في (الإيمان) والحديث عنه، بل قادرة على أن تجعل خطبة مستقلة بعنوان (الإيمان)، ولكنّها عليها السلام قصدت إيصال المحصلة الناجعة من حقّ (الإيمان) وحقيقته في بُعده المؤثر على الإنسان في قلبه وملازماته الناجمة منه بحركته وسكونه معاً. ونلحظها ابتدأت بتكثيف (الإيمان) وجعلته أوّل موضوعات خطابها الخصم وقومه، إشارة منها إلى مصاديق تأويله في بُعْديهِ القرآنيّ والنبوي، فعند بُعد تأويله القرآنيّ قوله تعالى: **{ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ**

مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [١].

وقوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [٢].

وقوله تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٣].

وأمّا في بُعْد تأويله النّبويّ، قول النّبي الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، في مصداق (الإيمان)، حال خرج الإمام عليّ عليه السلام لمبارزة رمز الشرك عمرو بن عبد ودّ: **«خَرَجَ الإِيْمَانُ كُلُّهُ، إِلَى الشُّرْكِ كُلِّهِ»**[٤]، إذْ قال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم في مناسبة الحديث نفسه، قبل خروج الإمام عليّ عليه السلام للمبارزة، عندما خاطب أصحابه: **«مَنْ يَقُوم إِلَى مُبَارَزَتِهِ فَلَهُ الإِمَامَةُ بَعْدِي»**[٥].

فالجمع بين دلالة المصداق القرآنيّ، ودلالة التأويل النبويّ، نحصل على مراد قصد السيّدة الزهراء عليها السلام بأنّ (الإيمان) هو (الإمامة) التي خرجت مدافعة

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٢.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ٧.
(٣) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
(٤) بحار الأنوار: ٦٠/٤١. ووردّ بتعبير آخر في المصدر نفسه؛ «خَرَجَ الإِيْمَانُ سَائِرُهُ، إِلَى الكُفْرِ سَائِرِهِ».
(٥) بحار الأنوار: ٥٩/٤١.

عنها، ومصداقها الحقّ هو (ابن عمّها) بعلها (الإمام عليّ عليه السلام) وذريتهما الأئمة المعصومون عليهم السلام ، الذين يطهّرون النّاس من الشرك بإمامتهم الإلهية، لأنّهم المطهّرون الذين طهّرهم الله تطهيراً بإرادته العظيمة؛ **{ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا }** [١].

فتحصيل حاصل المطهّر الإلهيّ هو (الإمام) الحقّ ذو (الإيمان) كلّه، و(الإمامة) بولايتها التشريعية والتكوينية، اصطنعه الله لنفسه، هو القادر على التطهير لأنّه طهرٌ طاهرٌ، فـ(الإيمان) بـ(الإمامة) له، محصلته (تَطْهيراً مِنَ الشِّرْكِ)، كما بيّنتها السيّدة الزهراء عليها السلام للخصم الظالم، وقدّمتها إليهم مكثّفة بمقتضى حال الموقف الذي يتطلبه.

وفي كلمتها (الموضوع) الثانية، قالت عليها السلام: (الصَّلاة) = (تَنْزِيهاً عَنِ الكِبْرِ)، إذْ كثّفت غاية الغاية من (الصَّلاة)، كما لخّصها الله في قرآنه العظيم، إذْ يقول: **{ أَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ }** [٢]، لذلك هي أثبتت للقوم أنهم يتكابرون أمام أمر الله وطاعته، ولو كانوا مقيمي (الصَّلاة) لأثّرت فيهم ونزّهتم عن (الكِبْر) الذي هم فيه جاحدون معاندون لأحكام الله وأوامره، وظالمو أنفسهم وأوليائه وعباده.

ولذلك نجد الإمام المعصوم عليه السلام في تلقيه عند زيارته الإمام المعصوم عليه السلام، يعلّمنا أن نشهد له بـ(إقامة الصّلاة)، في قوله المبارك: **«.. وَأَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلَاةَ...»**، وذلك لأهمية الشهادة في تأثيرها الأخلاقيّ والعمليّ على الزائر عند

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

مقام حُجّة الله عز وجل على خَلْقه أجمعين، وأفضل (صلاة) مرتبطة بالصلاة لله سبحانه هي (الصّلاة) على (النّبي مُحَمّدٍ وَآلِ مُحَمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم)، عند قوله عز وجل: { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [١].

وهي إشارة أخرى من السيّدة الزهراء عليها السلام إلى الخصم الظالم وقومه، تقول فيها لهم؛ إنَّا أهل بيت النّبي الذين صلّى الله علينا وملائكته وأمر المؤمنين جميعاً بالصلاة علينا ما بقي الدهر، وجعلها تزيهاً لهم أيضاً. وكذا هي الحال في شهادته بـ(أداء الزّكاة)، في قوله الشريف: **«...وَأَدَّيْتَ الزَّكَاةَ...»**، كما في الكلمة الموضوع التالية.

وفي كلمتها (الموضوع) الثالثة، قالت: (الزَّكاةَ) = (تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْق)، لقد كثّفت السيّدة الزهراء عليها السلام موضوع (الزَّكاةَ) بأثرين مهمين هما: الأثر الأوّل؛ (تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ)، والثّاني؛ (نَماءً في الرِّزْق)، ولو أنعمنا النظر في السور القرآنيّة، لوجدنا أنّها حَوَتْ في بطونها على تكرار كلمة موضوع (الزَّكاةَ) (٢٦) مرّة، وفي مواضع التّكرار كلها، جاء ذكر (الزَّكاة) تالياً لذكر (الصّلاة) مباشرة، بل لم تتقدّم على الصّلاة ولا في أيّ موضع منها، أنموذجها قوله سبحانه و تعالى: { وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } [٢].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) الأنبياء: ٧٣. وتنظر آيات السور: البقرة: ٤٣-٨٣-١١٠-١٧٧-٢٧٧. والنساء: ٧٧-١٦٢. والمائدة: ١٢-٥٥. والأعراف: ١٥٦. والتوبة: ٥-١١-١٨-٧١. والحجّ: ٤١-٧٨. والنور: ٣٧-٥٦. والنمل: ٣. ولقمان: ٤. والأحزاب: ٣٣. وفصّلت: ٧. والمجادلة: ١٣. والمزمل: ٢٠. والبيّنة: ٥.

لقد رتّب الله عز وجل عليها أثراً عظيماً في قبول إيمان الإنسان وحقّ عباده، وجعل قبول سائر العبادات منه متوقفاً على أدائه (الزَّكاة)، وهذا ما أرادته السيّدة الزهراء عليها السلام في رتبة (الزَّكاة) القرآنيّة تالية (الصّلاة)، وتكثيف نتيجة أثرها البديع المستوحاة من خلاصتها القرآنيّة في (التزكية) و(النّماء) أيضاً.

وفي كلمتها (الموضوع) الرابعة، قالت: (الصِّيام) = (تَثْبيتاً للإِخْلاصِ)، كثّفت الصيام بهذه النتيجة التي هي الاساس في بُعده الغائي من تشريعه للمؤمنين، وإلّا فهي قادرة على أن تجعل منه خطبة كاملة مثل الخطبة التي ألقاها أبوها النّبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم عند أقبل شهر (الصيام) شهر الرمضان، ولكنّها في موقف أراد في زمنه الموقوت إعطاء الثمرة المكنونة في ماهية (الصيام) والهدف العبادي والتربوي والعمليّ من وراء الجوع والعطش وصوم الجوارح، هو الصيام في طاعة أمر الله فيه، أَلَا وهو (التثبيت) للإخلاص، لذلك قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١).

وجعل له زمناً خاصّاً به اختصه له وحده سبحانه و تعالى ، وقال تعالى فيه: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ... ﴾ (٢).

وهي إشارة بديعة من السيدة الزهراء عليها السلام إلى أنّ التثبيت للإخلاص الإلهيّ لا يتحقق إلا بالصيام القائم على الإيمان بالقرآن الكريم الذي أنزله الله في شهره المخصوص به، للعمل بأحكامه ومبادئ شرعه المقدّس، ومن لم يكن فيه هذا فلن

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

يحصل على النتيجة التي كثّفت بها غاية (الصيام) الذي كتبه الله على عباده المؤمنين.

وفي كلمتها (الموضوع) الخامسة، قالت: (الحَجّ) = (تَشْييداً لِلدّينِ)، لقد أوجزت السيدة الزهراء عليها السلام الهدف الذي يؤديه (الحَجّ) من حيث إنّ أداءه بصورته التي يريدها الله تعالى، والكيفية التي أمر بها، فاجتماع المسلمين في موسم (الحَجّ)، وما يكون فيه من توحّد وألفة ومحبّة وأخوة وشعور بتعزيز روح الانسجام والوئام بينهم، تحصيل حاصله التماسك والقوة والعزّة فيما بينهم أيضاً، إلّا أنّها عليها السلام كثّفته بهذه المحصلة التي أعطت ما يريده اللهُ عز وجل من حكمة تشريعه كلّه.

وفي كلمتها (الموضوع) السادسة، قالت: (العَدْل) = (تَنْسيقاً لِلْقُلوبِ)، لقد اختزلت السيدة الزهراء عليها السلام أمراً إلهيّاً مهماً وهو (العَدْل)، وارادت من وراء تكثيفه المباشر هذا تعريف القوم المخاطب ومن يأتي بعدهم عَبر الأجيال بعصورها ودهورها، بأنّ (العَدْل) هو أساس تحقق التنسيق للقلوب، أي تكون مستقرة متفقهة واعية، وبأنّ الله جعل الأئمة المهديّون هم الذين يجري (العَدْل) في أرض الله وخلقه وكونه على وجودهم، ودفعهم عن مقاهم هذا الذي نصبهم الله عز وجل إنهاء التنسيق للقلوب، ولأجل إقامة (العَدْل) الإلهيّ خلق أئمة العدل والهدى، وفرض طاعتهم على الخلائق كلها، وجعلهم علّة الوجود ونظامه، والأمان لا يتحقق إلا بوجودهم. وهذا ما نراها عليها السلام أكّدته في الكلمتين الآتيتين.

وفي كلمتها (الموضوع) السابعة، قالت: (طاعَتَنا) = (نِظاماً لِلْمِلَّةِ)، وكلمتها (الموضوع) الثامنة، قالت: (إمامَتَنا) = (أماناً مِنَ الْفُرْقَةِ) في هذه الكلمة والتي تليها جعلت السيّدة الزهراء عليها السلام لهما خصوصيّة خاصّة، إذْ قالت: (طاعَتَنا = طاعة + نا)، و(إمامَتَنا = إمامة + نا)، من دون سائر كلمات (الموضوع) في خطابها كلّه، وهي

إشارة إلى الدافع الرئيس والغاية الأساس الذينِ خرجت من أجلهما مع ملازمات المطالبة بحقوق الأُخَر، إلا وهما أنّ (الطاعة)، التي فرضها على العباد هي (طاعتهم)، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (١).

من هنا نجدها عليها السلام كثّفت (طاعتنا) بـ(نظاماً للملّة)، لأنّ طاعتهم هي طاعة الله سبحانه و تعالى ، وتحصيل الحاصل لا يتحقق (النظام) للملّة إلّا بـ(طاعتهم عليهم السلام). وكذلك (الإمامة) والخلافة المغتصبة المتقمصة (إمامتهم)، التي نصّبهم الله عز وجل فيها، فهي (أمانٌ) للنّاس من (الْفُرْقَةِ) والتشتت والضياع، لأنّ (إمامتهم عليهم السلام) هي (حبل الله عز وجل) الذي أمر النّاس أن يتمسكوا به، فقال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢)، وعليه فإنّ أُمّة الإسلام إذا أرادت الخلاص من الفُرقة والتناحر والتشتت بينها عليها التمسك بولاية إمامة أهل البيت عليهم السلام، فهي الأمان الذي جعله فيها.

وفي كلمتها (الموضوع) التاسعة، قالت: (الْجِهاد) = (عِزاً لِلإِسْلامِ)، لو كانت تريد أن تُلقي على القوم خطبة منفردة بموضوع (الْجِهاد)، لخطبت فيهم كما خطب بعلها (ابن عمّها) الإمام عليّ عليه السلام خُطبه الخاصة بـ(الْجِهاد)، والتي دوّنتها

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

المصادر المحقّقة، كنهج بلاغته وغيره، إلّا أنّها عليها السلام كانت قاصدة تكثيف نتيجة (الْجِهاد) الغائية، وهي أنّه (عزٌّ) للإسلام، بمعنى أنّ الإسلام من دون (الجهاد) لا عِزَّ له، وأنّ (عِزّاً) للإسلام لا يكون إلّا بوجود (إمامِ عَدْلٍ) مفترض الطاعة هو الذي يتجسد فيه هذا (العِزّ) للإسلام، ومحصلته أنّ (الإسلام محمّديّ الوجود حُسينيُّ البقاء)، بالإشارة منها عليها السلام إلى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١).

وهكذا في تكثيفها في سائر كلماته (الموضوع)، فجماليته مُبينة جليّة وأسراره الإشاريّة بديعة سَنيّة، لدى كلمتها (الموضوع) العاشرة، قالت: (الصَّبْرَ) = (مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجابِ الأَجْرِ)؛ وكلمتها (الموضوع) الحادية عشرة، قالت: (الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ) = (مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ)، وكلمتها (الموضوع) الثانية عشرة، قالت: (بِرَّ الْوالِدَيْنِ) = (وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ)، وكلمتها (الموضوع) الثالثة عشر، قالت: (صِلَةَ الأَرْحامِ) = (مَنْماةً لِلْعَدَدِ)، وكلمتها (الموضوع) الرابعة عشر، قالت: (الْقِصاصَ) = (حِصْناً لِلدِّماءِ)، وكلمتها (الموضوع) الخامسة عشر، قالت: (الْوَفاءَ بِالنَّذْرِ) = (تَعْرِيضاً لِلْمَغْفِرَةِ)، وكلمتها (الموضوع) السادسة عشر، قالت: (تَوْفِيَةَ الْمَكاييلِ وَالْمَوَازِينِ) = (تَغْييراً لِلْبَخْسِ)، وكلمتها (الموضوع) السابعة عشر، قالت: (النَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ) = (تَنْزِيهاً عَنِ الرِّجْسِ)، وكلمتها (الموضوع) الثامنة عشر، قالت: (اجْتِنابَ الْقَذْفِ) = (حِجاباً عَنِ اللَّعْنَةِ) وكلمتها (الموضوع) التاسعة عشر، قالت: (تَرْكَ السِّرْقَةِ) = (إيجاباً لِلْعِفَّةِ)، وكلمتها (الموضوع) العشرين، قالت: حَرَّمَ اللهُ (الشِّرْكَ) = (إخلاصاً لَهُ بالرُّبُوبِيَّةِ).

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

إذْ أرادت السيّدة الزّهراء عليها السلام قاصدة بتكثيف كلماتها (الموضوع) في خطابها الفدكيّ التي جاءت مترتبة، بحسب علمها الإلهيّ بخصوص القرآن وعمومه، أن تبيّن للنّاس كافة، وللخصم المخاطب وقومه بخاصّة، أنّ تعطيل أحكام الله عز وجل ومبادئ شرعه، وسُنّة نبيّه العظيم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أبيها، أمر خطير وله نتائجه الخطيرة على الإسلام وأُمّته، من هنا بدت جماليّته الفاطمية الرائعة.

الفصل الحادي عشر

جمالية الاستفهامات وملامح اشتغالها الحجاجي

المبحث الأول: جمالية أسرار استفهامات خطابها عليها السلام.

المبحث الثاني: ملامح اشتغال استفهاماتها الحِجَاجيّ.

توطئة ومِهاد

بعد أن ذهبت قراءة الدراسة تستقري مكونات بنية خطاب حِجاج السيّدة الزهراء عليها السلام، وهيأة حُجّتها، وجدت أنّ استدلالها في إثبات دلالة المطلوب كان قطبه الأساس، وعصبه الأصل، ووتده الرئيس هو أسلوب الحِجَاج الاستفهامي الذي يكاد يحتل بناء خطابها كلّه، مشتركاً في هذا مع موضوعة استدلالها بالنّص القرآنيّ، وتوظيف مفرداته، فضلاً عن موضوعة التّكرار أيضاً، إلّا أنّ للاستفهام على الخصم المُخاطَب ضغطه الشديد القوي ووقعه المؤثر الذي ينماز بهما عن سائر مكونات الخطاب الحِجَاجيّ، إذْ تقوم بِنيته الحِجاجية على عرض القضية المخصوصة، ثمّ تقديم ما يشرحها ويعلّلها، ويؤدي بحركته الوظيفية الربط بين الأقوال الحِجاجية أو إظهارها بهدف تقوية خطاب الحِجاج نفسه[1].

وهذا ما كان حاضراً في ساعة إلقاء السيّدة الزهراء عليها السلام خطابها، لعلمها أهميته ووظيفته واشتغاله وفائدته، من حيث ما يؤديه من عامل كشف وتعرية على الخصم المُخاطَب في مقام الاحتجاج، وما يشكّله من قرع لزعم الخصم وادعائه، وما يثيره بدلالاته ومعانيه بحسب مقتضى الحال، ومناسبة المقام في تفاعل بنية السّياق من

(١) البيان الحِجاجيّ في إعجاز القرآن الكريم: عبد الحليم بن عيسى (بحث): ١٣.

توبيخ، وإنكار، ورفض، وتعجب، وتهكّم، وتقرير، وتصوّر، وتصديق؛ إيجاباً وسَلباً، وتحقيق، وما يقوم به من تحوّلات صادمة للقناعات وتغييرها حالياً وحضورياً ومستقبلياً، واستدلالات خارقة تُظهر المخبوء عند الخصم على حقيقته وتغيّر مسار نسقه المضمر.

كما أنّ الاستفهام ببنيته الأسلوبية له خصائص، أهمّها؛ (التّكثيف الدّلاليّ)؛ و(الاقتصاد اللغويّ)؛ و(الاختزال الأسلوبيّ)، و(التّردد الصّوتيّ)، التي يختصّ بها هي سرّ كلّ الذي قلناه عنه من اشتغالات حِجَاجيّة متعدّدة، ووظائف طلبيّة بلاغيّة منوّعة، وأبعاد نحويّة دلالية مختلفة، هذه الخصائص نفسها، تجعل استفهامات مطاليبها عالقة في ذهن الخصم، وعميقة في خَلَده، وراسخة في نفسه، وموقظة لضميره، ولضمير الأُمّة على مرّ الأجيال، وهذا ما أدّاه وأجراه وعمل به فعلاً في حِجَاجِها عليه.

إذْ جعل طَرْق الضغط الناتج من استفهام الحِجَاج، بصوته المدوّي ليلَ نهار الخصم في نهاية النهاية قبل موته وبعده معترفاً بأفعاله السيئة وجرمه؛ ونادماً هو ومَن كان معه على غصب الخلافة، وإيذاء السيّدة الزهراء عليها السلام[١].

(١) ينظر: بحار الأنوار: باب- ما أظهر من النّدامة على غصب الخلافة-: ٢٩٦/٣٠ وما بعدها. وينظر: نفسه: ١٤٩/٤٣.

المبحث الأوّل: جمالية أسرار استفهامات خطابها عليها السلام

لقد ورد توظيف السيّدة الزهراء عليها السلام لأدوات الاستفهام في خطاب حِجَاجها (ثلاثاً وعشرين/٢٣) مرّة، وقعت تحت حُكْمها النّحويّ ودلالات سياقها، سواء أبدخولها المباشر على جملة المستفهم عنه وفيه أم عَبْر العطف عليها بـ(الواو) أو بـ(أَمْ) المعادلة بقرائن لفظيّة دالة على بعض موضوعات مقاطعها أو عنوانات جُمَلها، (ست وعشرون/٢٦) جملة استفهاميّة، توزّعت على (ستة مقاطع/٦) استفهاميّة، وكلّ مقطع لهُ جُمَلُه الخاصّة به، وأمّا بحسب عدد اشتغال كلّ أداةٍ وَظّفتْها السيّدة الزهراء عليها السلام، فلقد انقسم الاستفهام على وفقها إلى (ثمانية/٨) أقسام، وهي:

الأُوَّل؛ (الهمزة/أ)، إِذْ كانت أكثرها توظيفاً بـ(١٤) مرّة، منها (أربع/٤) قرآنيّات، وكذا (ثلاث/٣) منها غير حقيقية للتّسوية، ويليه الثّاني؛ (أَنَّى) بـ(مرّتين/٢) إحداهما قرآنيّة، وثُمّ الثّالث؛ (كَيْفَ/١)، وبَعْده الرّابع؛ (مَنْ/١) قرآنيّة، ويتبعه الخامس؛ (أَمْ/١) مشتركة فيه مع (هَلْ/١)، وهكذا السّادس؛ (مَاْ/١)، والسّابع؛ (أَمَا/١)، والثّامن؛ (أيّ/١) القرآنيّة. كما في الشّكل الآتي:

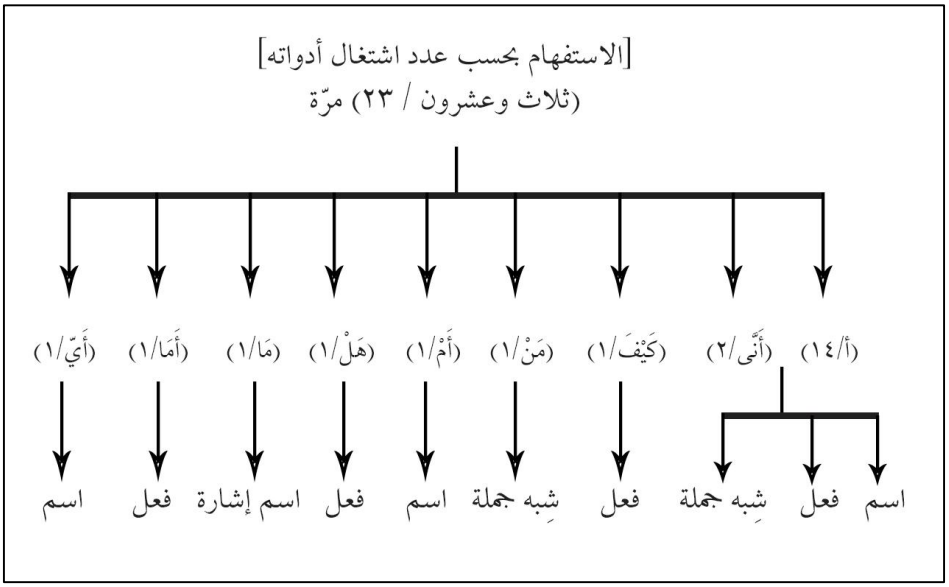

أمّا عرض النّماذج للقراءة فيكون بحسب تراتب توارد جمل الاستفهامات في بنية نصّ مقطع خطابها الاستفهاميّ، على اعتبار الوحدة النّصيّة المتداخلة دلاليّاً بين المقاطع الاستفهاميّة للخطبة كلّها أوّلاً، ومن حيثُ إنّ تسلسل الأفكار التي حملتها الاستفهامات باشتغالاتها الحِجَاجِيّة المتعدّدة في جُمَل مقاطعها نفسها، مقصودٌ بهندسة السيّدة الزهراء عليها السلام في بناء خطاب الحِجَاج ثانياً، الذي بسياقه العامّ تتبلور الفكرة الكلّية لغرض مناسبته الرّئيس.

وعليه فبيانه ببُعْدِهِ الوَصْفي من خلال كلّ جملة استفهاميّة في مقطعها الاستفهاميّ، يرسم ملامح صورته المتجسّدة في خطاب الحِجَاج نفسه، من حيثُ بَدْؤه بـ(كَيْفَ) وتتابعُه بسائر الأدوات الموظّفة في كلّ جملة من جمل الاستفهامات، وخاتمتُه بـ(الهمزة/أ) القرآنيّة.

ولقد تعدّدت جمل الاستفهامات فيما بينها داخل كلّ مقطعٍ استفهاميّ، بمعيار

مرجعية دلالة كلّ استفهام إلى فكرة جملة استفهامية واحدة، فبعضها حوت استفهاماً واحداً بأداة واحدة، عند قولها عليها السلام: **«أَمَا كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله أَبِي يَقُولُ: (اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ)؟»**.

وبعضها ضمّت استفهامين أحدهما متربط بالآخر دلالياً ومتعلّقان بشخص مخصوص حِجاجيّاً بأداة كذلك، لدى قولها: **«أُاغْلَبُ عَلَى ارْثِيَهْ يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ؟!، أفِي كِتابِ اللّهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، وِلا أرِثَ أبي؟»**.

وبعضها ثلاثة استفهامات متداخلة -ومنها (اثنان/٢) قرآنيّان- في توجهها الدّلاليّ المقصود بأداتين، نحو قولها: « **{** أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ **}** ، **{** وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ **}** ، **{** أَفَلا تَعْلَمُونَ **}** ».

وبعضها أربعة استفهامات معطوفات على بعضهن بحكم دلالة أداة واحدة أيضاً، عند قولها: **«فَأَنّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ؟، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلانِ؟، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإِقْدامِ؟، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإِيْمانِ؟»**.

وبعضها حملت استفهامين بأداتين عادلت وساوت بينهما بـ(أَمْ)، لدى قولها: **«أَفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْها أَبِي؟ أَمْ هَلْ تَقُولُونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثَانِ؟»**.

وبعضها ثلاثة استفهامات بثلاث أدوات –منها (واحد/١) قرآنيّ-، نحو قولها: **«كَيْفَ بِكُمْ؟ و {** أَنَّى تُؤْفَكُونَ **}** ؟،... **أَرَغَبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟»**، وهكذا في سائر التكوين الاستفهاميّ في حِجَاج خطبتها. إذ استفهمت السَّيّدة الزهراء عليها السلام، وهي الفَهِمَة غير المُفَهَّمَة، والمُحَدَّثَة، والعَالِمَة غير المُعَلَّمَة بعِلْمِها اللّدُنِّي وإلهامِها الإلهيّ، بإذن الله جل جلاله (وَكَمْ سَائِلٍ عَنْ أَمْرِهِ وَهُوَ عَالِمُ)، مُحْتَجّةً

مُحَاجِجَةً الخصم ومَن معه بها وهي عالمة بحقيقتها اليقينيّة القطعية، ولكنّها أرادت فضح الخصم، وكشف خفيّاته وقومه الذين معه، واطلاع النّاس بعامّة، والمسلمين بخاصّة عبر العصور والدهور، على حقيقة مستواه الفقهيّ ودرجته العلميّة ورتبة معرفته بالقرآن العظيم وخصوصه وعمومه، عَبْر اختباره ومَن معه، لذلك نجدها قد وظّفت استفهامات قرآنيّة مخصوصة من بين استفهامات حِجَاجها الخصم، انتخبتها وانتقتها وقصدتها من دون سائر الاستفهامات الواردة في الخطاب القرآنيّ، لمعرفتها بالمخاطَب الخصم بنبضات قلبه وخلجات نفسه، وثقافته القرآنية، لذا وقع استعمالها على استفهام قرآنيّ مشترك بين حجج خطابها وبين نسبة علمه ومعرفته به، فيوصل المعلومة مشتملة الطاقة الإقناعية الكامنة في إلزام الخصم[١]، وكما هو بيان ملامح اشتغال مقاطعها الاستفهامية الحِجاجيّ في المبحث الآتي.

(١) ينظر: الحِجاج في النّص القرآنيّ –سورة الأنبياء أنموذجاً-: إيمان درنوني (رسالة): ٨٩.

المبحث الثّاني: ملامح اشتغال استفهاماتها الحِجَاجيّ

لقد استوت استفهامات خطاب السيّدة الزّهراء عليها السلام في (ستة مقاطع/٦) استفهاميّة، يضمّ كلّ مقطع منها جُمَلَهُ الاستفهاميّات الخاصّة بموضوعة حِجَاجها الاستدلاليّ، وهي الآتية:

أولاً: المقطع الاستفهاميّ (الأوّل)

قولها عليها السلام: **«فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ؟، وَ{ أَنَّى تُؤْفَكُوْنَ } ؟، وَكِتابُ اللّه بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، أ رَغَبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟، { بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً } ،... { أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } ؟ أفَلا تَعْلَمُونَ؟ بَلَى تَجَلّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضّاحِيَةِ أَنّي ابْنَتُهُ».**

تحمل موضوعة هذا المقطع حِجَاجيّة كشف فتن القوم الخصم وإظهار نفاقهم المبطن بزعم خوفهم الفتنة!، وتركهم العمل بكتاب الله القرآن الكريم، لذا اشتمل على (ست جُمَل /٦)، منها (ثلاث/٣) قرآنيّات، والجُمَل هي: (كَيْفَ بِكُمْ؟)، و({ أَنَّى تُؤْفَكُوْنَ } ؟)، و(أَ رَغَبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟)، و({ أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ

تَبْغُونَ } ؟)، و({ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوْقِنُونَ } ؟)، و(أَفَلا تَعْلَمُونَ؟).

نلمح السيّدة الزهراء عليها السلام قد وجّهت المقطع كلّه بمفردة (هَيْهَات) اسم فعل ماضٍ بمعنى (بَعُد) التي أفادت بدلالتها الأصيلة (البُعْد) المستمر من حيث إنّ (بَعُد) فعل ماضٍ مبني للمجهول، وبحسب وجوده في السياق مع قرينته يعطي دلالته إيجاباً للتعظيم، وكذا سلباً للتصغير، وهو معلوم عند الله تعالى والمعصوم المتمثّل بها عليها السلام، وبهذا تكون (هَيْهَات) قد أدّت عملين:

الأول: توجيه استفهامات المقطع كلّ بحسب وروده في سياقه.

والثّاني: صبغت كلّ استفهام دلالة خاصة به مجترحة من موضوعة الغرض الرئيس ومعنى فكرته السياقية نفسها التي تتكفّل إيصال رسالة حجاجها إلى الخصم، لذلك قالت: (هَيْهَات مِنْكُمْ).

ففي الجملة الأولى استفهمت عليها السلام بـ(كَيْفَ) تعجّباً وإنكاراً وتوبيخاً عن حال الجماعة (بِكُمْ) وهم في موقف الرضوخ والخنوع لرأس الشّيطان الخصم الظالم لها الذي يوقظ الفتن كآبائه السّابقين، وفتنهم السابقات واللاحقات باءت بالويل والثبور، ولم تفلح ورجع كيدهم إلى نحورهم.

وعليه فإنّها عليها السلام تريد أن تقول لهم، انظروا إلى أنفسكم (كَيْفَ بِكُمْ؟)، بأيّ حالٍ كنتم وكان آباؤكم ؟، والله عز وجل أنقذكم بأبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو أعظم مَن خَلَق اللهُ وإنّه لَعَلى خُلُقٍ عظيم؟ لماذا تثيرون الفتن وتظلمون أنفسكم قبل ظلم العباد؟، أَلَا تتعظون وتكونون مسلمون حقّاً؟ لذلك أردفتها بالجملة الثّانية الحاملة للاستفهام القرآنيّ ({ أَنَّى تُؤْفَكُوْنَ })، الذي أسند دلالة استفهام الجملة الأولى (كَيْفَ)، لأَنَّ (أَنَّى) تحمل دلالتها نفسها وفي البرهة نفسها

توسّع المعنى وتزيده طاقة في الإنكار والتوبيخ[١].

إلّا أنّ توظيفها القرآنيّ لها، لأنّها تختلف عن (كَيْفَ) من ناحيتين؛ (السّعة في أدائها المعنى، والقوة في الاستفهام، وبناؤها اللغويّ يوحي بذلك، فالتّشديد الذي فيها والمدة الطويلة في آخرها يرجحان ذلك)[٢].

والاستفهام بها يتجاوب مع مقام موقف الحِجاج، ويسوق فعل الخصم وقومه القبيح، ويجعلهم متجسّدين مصداقاً للقوم السابقين الذين شملهم الخطاب القرآنيّ بسبب بعدهم عن الحق ومحاولاتهم صرفه عن نصابه وأهله، وكأنّ الزهراء عليها السلام تقول لهم: أنتم كالقوم السابقين فعلوا وعملوا وحاولوا أن يصرفوا الحقّ عن موضعه ولكنهم خابوا وفشلوا.

ومِنْ ثَمَّ خصّصت عليها السلام استفهاماً خاصّاً إنكاريّاً[٣] توبيخياً تقريعياً، ولكن لا نرى فيه شيئاً من تعجب السيّدة الزهراء عليها السلام، لأنّها كانت عالمة أنّ القوم أبناء آبائهم الذين ذكرت تأريخهم المماثل، من هنا أنكرت رافضةً موبّخةً إياهم، لا كما ذهبت الباحثة د.فاطمة إلى أنّه استفهام تعجب[٤]، نعم ومتأثرة - ولكن بخلاف التعجّب - بابتعادهم عن كتاب الله القرآن وصرفهم إيّاه بأحكامه وشرعه تجاه الإفك والباطل عند جملته الثالثة، وجوابه معلوم عندها نتيجته في الأمور كلّها تثبت السّلب في بُعْدهم عن الله وأحكامه في كتابه القرآن الكريم، إذْ قالت: (أَ رَغَبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ

(١) ينظر: أسلوب الاستفهام القرآن الكريم –غرضه، إعرابه-: عبد الكريم محمود يوسف: ٦٠.
(٢) معاني النّحو: د.فاضل السامرائي، بالتّصرف: ٤/٢١٩.
(٣) ينظر: بنية الحِجاج من منظور لسانيات الخطاب في خطبة الزهراء عليها السلام (بحث): ٤٩.
(٤) معاني النحو: ٤/ ٢١٩. بنية الحجاج من منظور لسانيات الخطاب في خطبة الزهراء عليها السلام: ٥٠.

بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟)، وهمزة التسوية (أ) بـ(أَمْ)، ساوت بين رغبة إرادة القوم في الإعراض عن كتاب الله تعالى أو حكمهم بغيره، وجوابهم مهما يكن النتيجة واحدة في تحقق مخالفتهم كتاب الله ونبذه وراء ظهورهم.

لذلك عزّزت السيدة الزهراء الاستفهامات المتقدّمة باستفهامين قرآنيّين لتأكيد حِجَاجها على فعل الخصم وقومه، هما؛ ({ أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ؟، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوْقِنُونَ })، بـ(الهمزة/أ) للاستفهام الإنكاريّ، و(مَنْ) للنّفي والإنكار معاً[(١)]، اللذين حملا استفهام المقارنة بين قبح حكم الجاهلية، بل الأقبح الذي هم عليه داخلون في مصداقه القرآنيّ، وبين حكم الله الحكيم وهو أحسن حكماً للقوم الذين عندهم يقين وتسليم لله مطلق.

لذلك جاء استفهام خاتمة المقطع بعد استفهام المقارنة الذي أعطاهم علم الفرق بين الحُكمين، أَلا وهو خطاب استفهام حِجاجها لهم؛ (أَ فَلا تَعْلَمُونَ؟)، بـ(الهمزة/أ) التي أعطت دلالة الإنكار والتوبيخ وإقرار التحقق، لما هم عليه من واقع ومتعجبة منكرة له لما هو متحقق الوقوع[(٢)]، إذ حمل هذا الاستفهام ذروة حجاجها القوم من حيث إنّها جعلت المستفهم عنه مفتوحاً - ومن ضمنه الاستفهامات السابقة داخلة فيه - أمام القوم لعظيم فعلهم القبيح الذي أعقبته أحداث ثلمت الإسلام وشوهت بيضته. لأنها أرادت القول للخصم عَبْر استفهام حِجاجها هذا؛ أفلا تعلمون أنّكم عصيتم الله؟، وتركتم كتابه ونبذتموه؟، وخاصمتموني ومنعتموني حقي وإرثي، وأنتم تعلمون أنّي فاطمة ابن رسول صلى الله عليه وآله وسلم ، لذلك فهي في البدء قالت

(١) - ينظر: أسلوب الاستفهام القرآن الكريم –غرضه، إعرابه-: ٣٩.

(٢) أسلوب الاستفهام القرآن الكريم: ٤٠.

لهم: **«اعْلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةَ»**، لذا نلحظ جوابها المباشر بعد استفهامها (أفَلا تَعْلَمُونَ؟) كان إثباتاً بـ(بَلَى)[١]، قائلة: **«بَلَى تَجَلّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضّاحِيَةِ أَنِّي ابْنَتُهُ»**، أي: نعم تعلمون وتجلّى لكم.

ثانياً: المقطع الاستفهاميّ (الثّاني)

قالت عليها السلام: **«أُأُغْلَبُ عَلَى ارْثِيَهْ يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ؟! أفِي كِتابِ اللّهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، ولا أرِثَ أبي؟ { لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيًّا } ، أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ؟»**، (أفعلى: أفادت التوبيخ بفعل عمدهم ترك الكتاب ونبذه)، إذْ يَقُولُ: **{ وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ } ،... وزَعَمْتُمْ أَلَا حِظوَةَ لِي، وَلا إرْثَ مِنْ أبي لا رَحِمَ بَيْنَنَا!»**.

تعالج موضوعة هذا المقطع فسق الخصم وفساده بتجاوزه حدود الله عز وجل بغصبه إرث السيّدة الزهراء عليها السلام من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتركه حكم كتاب الله تعالى على عمدٍ هو ومن معه ونبذوه وراء ظهورهم، فحوى (ثلاث جُمَل/٣) استفهامية، توحّدت بأداة واحدة (الهمزة/أ)، وهي: (أُأُغْلَبُ عَلى ارْثِيَهْ يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ؟)، (أفِي كِتابِ اللّهِ أَنْ تَرِثَ أَباكَ، وِلَا أرِثَ أَبِي؟)، (أَفَعَلَى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ؟).

ونكتة توحيد جُمَل المقطع بأداة استفهام واحدة، لأنّهن متصلات بموضوعة خطاب مقام الحِجاج الحالي بشخص واحد هو الخصم قطب الظّلم (ابْنَ أبي قُحافَة)، المعني بخطابها أوّلاً وأخيراً وما بينهما، لكونه رأس الفتنة كلّها، الذي أجمع القوم الذين

(١) ينظر: أساليب الإنشاء في كلام السيّدة الزهراء عليها السلام: ١٠٠وما بعدها.

معه لفعل ما فعل من أحداث لازمات استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الخطبة وبعدها، والمتتبع يعلم أنّي أعني ما أقول. لذلك جاء الاستفهام في الثلاث كلّهن، إنكاريّاً وتوبيخيّاً متسلسلاً موجهّاً له في تثبيت إدانة فعله القبيح المتولّدة فيه وعلى إِثْره أحداث جِسَام كانت سبباً في تشتت الأمّة الإسلاميّة وتمزّقها إلى يومنا هذا، من حيث إنكارها تعجباً عليه غصبه منها حقّها، والغلبة والتعدّي على إرثها، وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي هذه الجملة الأولى؛ أدخلت عليها السلام (الهمزة/أ) على فعل مضارع المبني للمجهول (أُغْلَبُ)[١]، لإفادته مجاراة الحدث الناتج من فعل الخصم وحمله استمرار الإنكار بوجهه المفتوح على ليل الزمن ونهاره.

ومن حيث إنكارها تعطيله حكماً إلهيّاً في كتاب الله الكريم، وفي هذا الجملة الثّانية؛ جعلت (الهمزة/أ) مجاورة لشِبه الجملة من الجار والمجرور المتقدّم (فِي كِتَابِ اللهِ)، لتخصيص قصدية تأكيد المبالغة في الإنكار الإبطاليّ على الخصم بوجود آية في كتاب الله تمنعها إرثها[٢]؛ ومن حيث إنكارها عناده وقصده وتعمده ترك كتاب الله ونبذه وراء ظهورهم، وافتراءه على رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أقوالاً مخالفة لأحكام الله وشرعه في كتابه العظيم لم يقلها، وفي هذا الجملة الثالثة: قرنت (الهمزة/أ) بجار ومجرور متصدّر بـ(فاء) السّببيّة؛ (أَ فَعَلَى عَمْدٍ...)، إذْ تناسبت مع سوق خطاب الحِجَاج في توجيهه للمُخَاطَب الخصم معلّلاً له أكثر وقعاً في نفسه[٣]، ووصل الأمر بالخصم الظالم إلى أن يفضّل نفسه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بأن يبرّر

(١) ينظر: بنية الحِجاج من منظور لسانيات الخطاب في خطبة الزهراء عليها السلام (بحث): ٤٩.
(٢) ينظر: أساليب الإنشاء في كلام السيّدة الزهراء عليها السلام: ٩٩.
(٣) أساليب الإنشاء في كلام السيدة الزهراء عليها السلام: ١٠٠.

فعله ويرضاه لنفسه على حساب هتك حرمة الرسول والتجاوز على مقامه العظيم في زعمه قول مخالفة أحكام الله في كتابه القرآن الكريم.

ثالثاً: المقطع الاستفهاميّ (الثّالث)

قالت عليها السلام: **«أَفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْها أَبِي؟ أَمْ هَلْ تَقُولُونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثَانِ؟، أَوَلَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي؟»**.

موضوع هذا المقطع تضمّ بين طيّاتها حِجاج الخصم بكتاب الله سبحانه وتعالى وردّ قولهم في منعها إرثها، وكذا تفحمهم بجهلهم بخصوص القرآن وعمومه، بذكرها أبيها رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم مدينة علم الله جل جلاله، وابن عمّها بعلها الإمام عليّ عليه السلام باب مدينة علم الله عز وجل. ويضمّ (ثلاث جُمَل/٣) استفهامية، هي: (أَفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْها أَبِي؟)، (أَمْ) (هَلْ تَقُولُونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثَانِ؟)، (أَوَلَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟!، أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي؟).

ففي الجملة الأولى: جاءت (الهمزة/أ) دالة على إنكار إبطاليّ تعجّبي نافٍ لوجود آية تخصّ القوم بالإرث، وتخرج رسول الله أباها منه، والفاء معها لترتيب الاستخبار عن قولهم لا إرث لها، بعدها تلتها بـ(أَمْ) وهي منقطعة عن معنى المستفهم عنه في جملة الاستفهام السابقة لها ولها تأثير دلاليّ في اللاحقة بها، وعندها تكون دلالتها على الاضطراب وانتفاء اليقين، والانتقال إلى مطلب آخر، وتقارب معنى (بل)، إلّا أنّ المستفهم عنه الواقع بعدها يكون في موضع الظنّ والشّك فيه[١].

(١) ينظر: معاني النحو: ٢٠٠ وما بعدها، وينظر: أساليب الإنشاء في كلام السيّدة الزهراء عليها السلام: ←

مع تأكيد السيّدة الزهراء عليها السلام إنكارها بطلان الاثنين معاً، وهو ما جعلها أن تستفهم عن مطلب آخر في الجملة الثّانية التالية بعد (أَمْ) بـ(هَلْ تَقُولُونَ...)، الداخلة على الفعل المضارع وهو من المستحسن عند العرب لإفادتها دلالة التصديق أو طلبه، لأنّها في الأصل بمعنى (قَدْ)، ودخولها على الفعل المضارع تخصّصه بالاستقبال((١))، وحجاج استفهامها عليها السلام بجملة (الهمزة/أ) الإنكاري الإبطاليّ على الخصم وقومه، فيها إشارة إلى استفهام قرآنيّ عند قوله تعالى: { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ }(٢).

ثمّ تأتي الجملة الثالثة المتصدّرة بـ(الهمزة/أ) الموظّفة للتسوية بقرينة وجود (أَمْ) المعادلة التي تخفي النتيجة وإن كان عالماً المشئ إيّاها، وتبقي الحُجّة قائمة(٣)، فتسبب إرباك الخصم وتوتره واضطرابه، والهمزة جاءت المجاورة لـ(واو) العطف الداخلة على (لَسْتُ/ ليس+تُ)، إذْ أفادتِ التحقيق والإثبات والتقرير على أنها وأباها من أهل ملّة واحدة. وبعدها تأتي جملة معادلة (أَمْ) والتي تحاجج القوم بها على أنّهم ليسوا بأعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبيها رسول الله وابن عمّها الإمام عليّ (صلّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا)، والسيّدة الزهراء عليها السلام أغلقت باب الحِجَاج أمام الخصم وقومه بذكرها الاحتمالات كلّها التي صاغتها في استفهاماتها الخاصّة بها، على سبيل إتمام حجّة

→

١٠٣، و١٢١ وما بعدها.

(١) - ينظر: نفسه: ١٥٣.

(٢) سورة القلم، الآيات: ٣٥-٣٧.

(٣) ينظر: الحِجاج في النّص القرآنيّ –سورة الأنبياء أنموذجاً-: إيمان درنوني (رسالة): ١٥٤.

صور الاحتمالات النّافية للإرث[١].

نلحظ أنّ (الهمزة/أ) لها قوة تأثير مسيطر على سياق جُمَل استفهامات المقطع كلّه، لموقعها المهم في مقام مراعاة موقف الحِجَاج مع الخصم الذي يتطلب المبالغة في الإنكار لاكتنازها قوة في الاستفهام، متأتٍّ من موقعها في صدارة الجملة واشتغالها الصّوتي في الوقت نفسه.

رابعاً: المقطع الاستفهاميّ (الرّابع)

قالت عليها السلام: **«يا مَعاشِرَ النَّقِيْبَة، وَأَعْضادَ الْمِلَّة، وَأَنْصارَ الْإِسْلام! ما هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقّي؟ وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟ أما كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله أَبِي يَقُولُ: (اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ)؟ سَرْعانَ ما أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلانَ ذا إهالَةً، وَلَكُمْ طاقَةٌ بِما اُحاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلى ما أَطْلُبُ وَأُزاوِلُ! أَتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ صلّى الله عليه وآله؟!...؛** { وَما مُحَمَّدٌ إلاّ رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوقُتِلَ انقلَبْتُمْ على أَعْقابِكُمْ؟ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشّاكِرِينَ } **».**

موضوعة هذا المقطع تقريع النَّقِيْبَة الذين كان عليهم حماية الدِّين ونصرة الإسلام، ولكنّهم تواطأوا مع الخصم الظّالم في منعها حقّها وإرثها ورضاهم بظلامتها وتقاعسوا عن قول الحق، وكانوا كالذي حلّ فيه نعاس النّوم وامتنعوا عن القيام مسرعين في ردّه إليها، وأصبحوا مصداق الذين انقلوا على أعقابهم بعد استشهاد أبيها الرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، فاحتضن المقطع بين أهلته (خمس جُمَل/٥) استفهامية، منها (واحدة/١) قرآنيّة، والجُمَل هي: (مَا هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي

(١) ينظر: أساليب الإنشاء في كلام السيّدة الزهراء عليها السلام: ١١٧.

حَقّي؟)، (وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟)، **«أَمَا كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله علبه وآله أَبِي يَقُولُ: ((اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ))؟»**، **«أَتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ صلّى الله عليه وآله؟!»**، **«أَفَإِنْ ماتَ أَو قُتِلَ انقلَبْتُمْ على أَعْقابِكُمْ}؟»**.

استفهمت عليها السلام من قوم الخصم الظالم في الجملة الأولى والثانية بـ(مَا) عن شيئين طالبتهم بوصفهما لها، هما؛ (الْغَمِيزَةُ) في حقّها، و(السِّنَةُ) في ظلامتها، فسكوتهم ورضاهم عن الخصم بفعله القبيح مع علمهم أنّه غصبها إرثها عمداً وقصداً، وظلمها حقّها علناً جهاراً، لذلك أنكرت عليهم موقفهم المُخْذِل لها، ووبّختهم به عجباً على ما يعلمون من هي؟، وما مقامها من أبيها رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ؟، ولقد أكّدت إنكارها وتوبيخها عندما وظّفت اسم الإشارة (هَذِه) مقحماً بين اسم الاستفهام (مَا) والمستفهم عنه. أما في الجملة الثالثة فلقد استفهمت بـ(أَمَا) المركّبة من (همزة/أ) الاستفهام و(مَا) النافية لتوكيد الحِجَاج، يؤتى بها لعرض المستفهم عنه وتقريره[1].

وتحقّقه والإنكار والتوبيخ على المُخَاطَب لمخالفته العمل به، ودخولها على الفعل الماضي (كان)، أكّد نطقه على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وازداد تأكيداً حِجَاجيّاً عندما وظّفت السيّدة الزهراء عليها السلام الفعل المضارع (يَقُولُ) الدال على كثرة تكرار قوله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته المباركة، والاستمرار والديمومة بلا انقطاع عن جريان حكمه بعد موته الذي استشهد فيه. وأما في الجملة الرابعة فقد استفهمت بـ(الهمزة/أ) إنكارياً لقولهم الآني بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتهى كلّ شيء لحظة خطابها إيّاهم بدلالة الفعل المضارع (تَقُولُونَ)، الذي

(١) ينظر: المغني: لابن هشام الأنصاريّ: ١/١١٩.

يؤكّد تحققه وتقريره، وفي البرهة نفسها تأكيد توبيخها لهم على قولهم القبيح بحق رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، من هنا نراها عضّدت استفهام حِجَاجها الإنكاريّ لهم باستفهام قرآنيّ حمل إنكاراً، وتوبيخ المُنقلبين لانقلابهم على أعقابهم بعد موته أو قتله عند استشهاده، لدى جملتها الخامسة، إذْ جاءت (الهمزة/أ) بدلالتها الإنكاريّة التوبيخيّة، داخلة على جملة الشرط وجوابها، لتدل على عظيم فعل الخصم وقومه الذين معه، وانقلابهم مرتدين كافرين بعدما كانوا مؤمنين، عقب استشهاد رسول الله أبيها صلى الله عليه وآله وسلم(١).

خامساً: المقطع الاستفهاميّ (الخامس)

قولها عليها السلام: **«أأُهْضَمُ تُراثَ أُبِيَهْ وَأَنْتُمْ بِمَرْأى مِنّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الْخَبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجيبُونَ، وَتَأْتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلاحِ، وَالنُّجَبَةُ الَّتي انْتُجِبَتْ، وَالْخِيَرَةُ الَّتي اخْتيرَتْ!... فَأَنّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ؟، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلانِ؟، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإِقْدامِ؟، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإِيمَانِ؟، { أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَاؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ؟ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } ، فَدُونَكُمُوها فَاحْتَقِبُوها دَبِرَةَ الظَّهْرِ، نَقِبَةَ الْخُفِّ، باقِيَةَ الْعارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللهِ وَشَنارِ الْأَبَدِ، مَوْصُولَةً بِـ{ نارِ اللهِ الْمُوقَدَةِ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ } ، فَبِعَيْنِ اللهِ ما تَفْعَلُونَ { وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ } ؟».**

(١) ينظر: أسلوب الاستفهام القرآن الكريم –غرضه، إعرابه-: ٣٢. وينظر: أساليب الإنشاء في كلام السيّدة عليها السلام: ١٢٥ وما بعدها.

موضوعة هذا المقطع مكمّلة للسّابق، ولكن الحِجَاج هنا موجّه إلى بني قَيْلَة[١]، وهو مشبع بالتّوبيخ والإنكار والرّفض لموقفهم غير المشرّف ضدّ نصرتها وأخذ حقّها من الخصم الظالم، وإثبات يقين تحقّق دخولهم نار الله الموقدة، بسبب فعلهم القبيح، إذْ راحوا فرحين في مساعدة الظالم على غصبها إرثها وسلبها حقّها، وطوى هذا المقطع بين أقواسه (سبع جُمَل/٧) استفهامية، منها (اثنتان/٢) قرآنيّتانِ، والجُمَل هي: (أُهْضَمُ تُراثَ أُبِيَهْ وَأَنْتُمْ بِمَرْأى مِنّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟!)، (فَأَنّى جُرْتُمْ[٢] بَعْدَ الْبَيانِ؟)، (وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلانِ؟)، (وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإِقْدامِ؟)، (وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإِيْمَانِ؟)، (﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ؟ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾)، (﴿..أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾؟).

نلحظ السيّدة الزهراء عليها السلام في جملتها الأولى/ج١ قد استفهمت بـ(الهمزة/أ) وأدخلتها على الفعل المضارع المبني للمجهول (أُهْضَمُ) الذي وقع عليه إنكارها فعل الخصم عَبْر دلالته التي تعبّر عن أثر عمق الظلم الواقع عليها من الخصم وقومه وعمقه وكسرهم حقّها، لذا توبيخها إيّاهم على ما يرونه ويسمعون وهم مجتمعون، ولم يحركوا ساكناً في نصرتها، وتعجبها من موقف قوم الخصم لهضمها تراث أبيها وهم بمرأى ومسمع يتفرجون على حالها، ولكنّها نطقت بـ(أُبِيَهْ) بصيغة تصغير التعظيم المعبّر عن عظيم تعجبها من عظم فعل هضمها حقّها في الإرث، وضمّ أوّله يتجاوب مع دلالة فعل ظلم (الهَضْم)، وأسندته بـ(هاء السَّكت) التي زادت من قوة معنى الإنكار والتّوبيخ والتعجب. وفي الجملة الثانية جاء الاستفهام بأداة (أَنّى) التي

(١) بنو قَيْلَة: هم الأوس والخزرج قبيلتا الأنصار؛ إذْ انخرطوا داخلين في جبهة الخصم الظّالم، وقَيلة اسم أمّ لهم قديمة، هي قيلة بنت كاهل. تنظر: اللمعة البيضاء: للتبريزيّ الأنصاريّ (ت ١٣١٠هـ): ٦٧٢.

(٢) في بعض النّسخ (فَأَنّى حِرْتُمْ بَعْدَ البيان، أي: من حيرهم بعد بيان الحال، وتجلى سبيل الحقّ ومآله)، ينظر: اللمعة البيضاء: لمحمّد عليّ التبريزيّ الأنصاريّ (ت ١٣١٠هـ): ٦٧٠.

تكفّلت بحمل الاستفهام عن أربعة أشياء؛ هي: الأوّل/ج٢؛ (جورهم على الحقّ، وميلهم عنه وتركهم سبيله بعد بيان كلّ شيء له)، والثّاني/ج٣؛ (أسررتم كلمة الحقّ والإيمان بعد إعلانكم عنهما في زمن أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)،والثّالث/ج٤؛ (نكوصهم ورجوعهم إلى الخلف عن سبيل الحق وإسلام الله ورسوله، وتخلفهم عن محاربة أعداء الله بعد عهدهم ووعدهم بالإقدام في زمن حياة رسول الله أبيها صلى الله عليه وآله وسلم)، والرّابع/ج٥؛ (شركهم في اتباع الشيطان وأولياءه وأعداء الله بعد إيمان الذي كانوا عليه في زمن رسول الله أبيها صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذه أشياء جُمَل المستفهمات عنها الأربعة كلّها يجمعها معنى واحد، لذلك جمعتها السيّدة الزّهراء بأداة استفهام واحدة (أَنَّى) التي تتناسب بعدد دلالتها مع المشتركات الدلالية الموحّدة في سياق معنى واحد نفسه[١].

وجمعها كلّها (الواو) لأنّه أداة ربط من أهمّ الروابط الحِجَاجيّة لا في جمعه الحجج فحسب، بل في تعضيدها وتقويتها بعضها ببعض لتحقيق النتيجة المقصودة، بكونه رابطاً حجاجيّاً مدعماً للحجج المتساوقة أو المتساندة[٢].

زيادة على أَنَّ التّضعيف الصّوتي في بِنية (أَنَّى)، يجعلها قادرة على بثّ دلالتها الزّمانية والمكانية والحالية فيهن. فضلاً عن أنّها عليها السلام جعلت هذه المستفهمات عنها في صوت حرف فاصلة متقارب هو؛ (ن + ن + م + ن)، لما لها أهمية في مركز خطابها الحِجاجيّ. وفي جملتها السّادسة/ج٦، عضّدت اهتمامها لأشياء مستفهمات الجُمَل السّابقة، وقوّت حجيّة إثباتها استفهاميّاً بإسنادها إلى آية قرآنيّة، هم مصداقها،

(١) ينظر: اللمعة البيضاء: ٦٧٨.

(٢) ينظر: الإقناع في الخطاب القرآنيّ: هشام بلخير (رسالة): ١١٧.

وفي البرهة نفسها مسوقة بتأكيد تقريعها وتوبيخها إيّاهم باستفهامها القرآنيّ، عند قوله تعالى: { أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ؟ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } .

فالسيّدة الزهراء عليها السلام بالخطاب القرآنيّ تقول للقوم الذين صفّوا أقدامهم مع الخصم الظالم وقومه؛ أنتم أوّل مَن بدأتم، ونكثتم عهدكم ووعدكم بعد أقسام ومواثقكم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبعدها، كما فعلوا هم ووصل بهم التّطاول إلى أن همّوا بإخراجه، وكرّروا الأمر معي ومع ووصيه وخليفته، وأنا ابنته وأنتم تعلمون مقامي أنا وابن عمّي عند الله ورسوله، **«أَتَخْشَوْنَهُمْ؟، فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»**، لم تجد السيّدة عليها السلام بُدّاً إلّا أن تجعلهم في بوتقة المصداق الأمثل للآية المباركة التي شملت هذا الاستفهام المتصدر بـ(الهمزة/أ) التي حملة دلالته على تقرير تحقّق خشيتهم أعداء ورسوله وإنكارها عليهم، لأنّ الله هو وحده أحقّ بها، ولكنّهم لم يكن إيمانهم صادقاً منذ بداية البداية لذلك انقلبوا، ووبّخهم على طاعتهم للخصم وقومه، ونهاهم عن خشيتهم.

لذلك استشرفت قرآنيّاً عليها السلام عاقبتهم جميعاً التي هي عاقبة الظّالمين الذين ظلموا أهل البيت عليهم السلام على مرّ العصور، عند استدلالها بالاستفهام القرآنيّ لدى جملتها السّابعة/ج٧، الذي عزّز حِجاجها، وزاده إقناعاً في خطابه المصداقيّ؛ إذْ قال سبحانه و تعالى: { وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ } ؟، فـ(أَيّ)؛ مع دلالة (السّين) المصدّر بها فعل المضارع (يعلمُ)، جعلت طابع دلالتها تقرير تحقّق عقاب الظّالمين المنتظر في المستقبل القريب والمتوسط الذي لا رجعة فيه، والتنبيه إلى أنّ الله شديد العقاب، ومتحقّق يوم وعيده، ثمّ إنّ إضافة (أَيّ) بموقعها الإعرابيّ مفعول مطلق

إلى (مُنْقَلَبٍ) بتنوين الكسر زيادة شدة الانقلاب وجعله مفتوحاً أمام المتلقي غير محدد في أبواب العموم والشمول، فضلاً عن أنّه أي: (مُنْقَلَب)، صفة مصدر محذوف والعامل فيه ينقلون، وتقديره: سيعلم الذين ظلموا ينقلبون انقلاباً أيَّ انقلابٍ، وهذا يدلّ على دقة انتقاء السيّدة الزهراء عليها السلام لآيات استدلالها الحِجَاجيّ كما ذُكر عند موضوعة خصائصه.

سادساً: المقطع الاستفهاميّ (السّادس)

قالت عليها السلام: **«سُبْحانَ اللهِ! ما كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآلهِ عَنْ كِتابِ الله صادِفاً، وَلا لِأَحْكامِهِ مُخالِفاً، بَلْ كانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَيَقْفُو سُورَهُ، أَفَتَجْمَعُونَ إلى الْغَدْرِ اْغتِلالاً عَلَيْهِ بِالزُّورِ؟؛ وَهذا بَعْدَ وَفاتِهِ شَبِيهٌ بِما بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوائِلِ فِي حَياتِهِ، مَعاشِرَ النّاسِ الْمُسْرِعَةِ إلى قِيلِ الباطِلِ، الْمُغْضِيَةِ عَلى الفِعْلِ القَبِيحِ الخاسِرِ { أَفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ أَمْ عَلى قُلوبٍ أَقْفالُها } ؟».**

موضوعة هذا المقطع تتكفّل بتنزيه أبيها رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم النابع من تنزيه من الله سبحانه وتعالى ومتصل به، فلم يكن صادفاً عن كتاب الله عز وجل ولا لأحكامه مخالفاً، بدلالة القرينة اللفظية المتقدّمة (سُبْحانَ اللهِ!) التي ابتدأت بها السيّدة الزهراء عليها السلام المقطع، وفي الوقت نفسه تَعْجَب عليها السلام من عزّهم بالإثم واجتماعهم على الغدر برسالته وإسلام الله الحنيف، وادعائهم بأحكامٍ لم تكن موجودة في كتاب الله القرآن العظيم، وبكلامٍ لم يقله ويتحدّث فيه نسبوه إليه زوراً، ولكنّها واجهتهم بحقيقتهم التي كانوا عليها في حياته صلى الله عليه وآله وسلم ببغيهم عليه، أباستشهاده لا يسرعون إلى الخصم الباطل والقول باسمه زوراً؟!، وكانت نتيجة موقفهم هذا أبصارهم مغضية عن الفعل القبيح الخاسر الصّادر من الخصم وقومه

وهم منهم، ومغضية كذلك عن نصرة الحقّ وأهله، لقد تضمّن هذا المقطع (جملتين/٢) استفهاميّتين، (إحداهما/١) قرآنيّة، وهما: «**أَفَتَجْمَعُونَ إلى الْغَدْرِ اعْتِلالاً عَلَيْهِ بِالزُّورِ؟**»، «**{ أَفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ أَمْ عَلى قُلوبٍ أَقْفالُها }** ؟».

فجملته الأولى استهلت بـ(الهمزة/أ) المقحم بينها وبين فعلها المضارع (الفاء) العاطفة على محذوف مقدّر، ويضمّ معنى عميقاً للطغيان والظّلم الذي كانوا عليه الخصم وقومه، وهو ما يدلّ عليه الفعل (تجمعون)، وينبئ باستمرار حقدهم وظلمهم وغدرهم لآل بيت الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، واللاوفاء منهم للرسول الأكرم بعد موته الذي استشهد فيه، وزادوا زور كذبهم اعتلالاً في كل حال من أحوالهم، التي كانوا يقدّمون العذر والسّبب لتبرير أفعالهم، وادعاء صحّة أعمالهم، من حيث هتكهم مقام الرسول الأكرم، وتعدّيهم الحدود الشّرعية، وتركهم الأحكام الإلهيّة في كتاب الله القرآن الكريم، وغصبهم الخلافة بافتراء الشورى، وأخذهم إرثها من فدك وغيرها. من هنا قصدت السيّدة الزهراء استفهامها بـ(الهمزة/أ)، لأنّ قوّة دلالة الهمز وشدّة مخرجها القطعيّ الصّوتي، تتجاوب مع مقام حِجَاجها في الإنكار عليهم، وتوبيخهم، والتعجّب من تحوّلهم وانقلابهم[1].

وهو معلوم عندها، ولكنها عليها السلام أرادت بيانه وكشفه للتأريخ كلّه وحتى يوم الدّين. وبعده أشفعته باستفهام قرآنيّ جعلته الخاتم لوصف واقع إعراض الخصم وقومه، وتصوير ابتعادهم عن تدبّر القرآن، لدى قوله تعالى: **{ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ أَمْ عَلى قُلوبٍ أَقْفالُها }** ، إذْ افتتح بـ(الهمزة/أ) التي اشتغلت على بثّ دلالة إنكار إعراض، وتوبيخهم على ترك التّدبّر، بسبب سيئات أفعالهم القبيحة وذنوب أعمالهم السّيئة، حيثُ تجسّدت

(١) ينظر: أساليب الإنشاء في كلام السيّدة الزهراء عليها السلام: ١٢٩.

أقفالاً على قلوبهم، وأغلقت أبواب التدبّر فيه أمام عقولهم، لذلك قيل: إنّ (أَمْ) منقطعة بمعنى (بَلْ)، التي تفيد معنى الإضراب، والهمزة بعدها في المقام تأكيد حِجَاج الاستفهام الإنكاري التوبيخي الذي اشتغلت عليه همزة الجملة المتقدّمة، نلمح أنّ تنكير (قُلُوب) هؤلاء بتنوين الكسر، ومَن كان مثلهم مصداقاً لها، تكون قلوباً مُنكرة، وأفئدةً مُحقّرة، لأنّها قلوبٌ غير متدبرة للقرآن الحكيم، فكانوا بمنزلة الجهلاء الذين على الرّغم من علمهم به إلّا أنّهم تركوا العمل بأحكامه الأصولية والفرعية[١].

تبيّن لنا في ضوء العرض النّقدي للاستفهام، أنّ الجملة الاستفهاميّة كلّها، ببِنيتها وتركيبها لها الأثر الجليّ المُبين في تكوين الخطاب الحِجَاجي، فلا يقتصر الاشتغال على الأداة الاستفهامية فحسب، فضلاً عن أنّ معالجة العرض للاستفهام الحِجَاجيّ لابدّ من أن يكون تراتبياً بحسب وروده في الخطاب، بلحاظ قصدية المنشئ الواعية لها تخطيطها الإقناعيّ في إلقاء خطاب حِجَاجها، فكيف بها وهي سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين مولاتنا فاطمة الزّهراء عليها السلام؟، وبخاصّة أنّها كشفت عقلية المُخَاطَبين الخصم وقومه، هي نفسها عقلية السّابقين في زمن حياة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي أثبتها القرآن الكريم وأكّدها، واستدلت بها عليهم في أقوال اطلاقها مقدّمات حِجاجها، وكذا في محتواه جلّه، وصولاً إلى استفهامات مقاطعها الحِجاجية، وهو من أبرز الدلائل على قوة محاجة القرآن العظيم، لما له من طريقةٍ خاصّةٍ في إقامة الحُجّة والبرهان، وأسلوبه المتماسك في بناء الاستدلال[٢].

(١) ينظر: اللمعة البيضاء: ٧٠٣.

(٢) ينظر: أصول الجدل وآداب المحاجة في القرآن الكريم: محمّد علي نوح فوجيل: ٧٨.

خاتمة الدراسة ونتائجها

إنّ تشكّلات أُطر مكوّنات خطاب السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، متبلورة على وفق الأحداث الدائرة في محيط مناسبة خطبتها الفدكيّة، والمتزامنة مع غصب الخصم الظّالم إرثها عليها السلام بزعمه أنّ أولاد الأنبياء لا ميراث لهم، من حيث التي قَبْلها في هتك الخصم ومَن معه مقام (النّبوة)، بادّعائه أنّه صلى الله عليه وآله وسلم (يَهْجر) وحاشا له ذلك، والمتداخلة في أحداث الإمامة القريبة في تقمّصه الخلافة ببدعة (الشُّورى)، ففي خضم هذه التداعيات أصبحت (فَدَك) الباب الرئيسة لأسرار بناء مكوّنات خطابها عليها السلام، وهيكلته ورسم ملامح هندستها الحِجَاجيّة، وآفاق اشتغال علاقاتها الأُسلوبيّة، وتواشج أواصرها الجماليّة، وفيها تجترح الدّراسة أهمّ ما رصدته عَبْر محطّات إجراءاتها النّقديّة، يتجسّد في النّقاط الآتيات:

أ: إنّ ارتباط أحداث وَقْعة دفاع السيّدة الزّهراء عليها السلام عن مقام النّبوة وخلافة الإمامة الإلهيّة، وحقوق ميراثها بـ(أرض فَدَك) مع الخصم الظّالم، كان من العوامل الرئيسة الأساس في خلود الخُطبة التأريخيّ وما حوتْه مضامين خاصّة وعامّة، إذْ حفظتها كلّها من الاندثار والضياع والانطماس، فأفشلت مخطّطات الخصم الظّالم كلّها وأتباعه الذين لحقوا به، من تشويه حقيقتها، وتزوير أحداثها، وتحريف وَقْعتها.

ب: ألمحت القراءة عبقرية السيّدة الزهراء عليها السلام في دقّة هندسة (ديباجة) خطابها الفدكيّ، وحذاقة تطريز بِنيتها - وكذا في سائر خطابها كلّه -، بدءاً باستهلالها بحمد الله وشكره وثنائه، وذكر نعمه وآلائه وعَبْر تقسيم فاصلاتها الثّلاثيّ ورويها الصّوتيّ، وانتهاءً بعددها إذْ بغلت (اثنتي عشرة/١٢) فاصلة، مع ما شكّله الصّوت السّابق لكلّ روي في كشف أسرار ما أرادته عليها السلام، انصهاراً في بُعْدها داخل حركتها الحِجاجيّة، وتماسك أواصر علاقاتها الأُسلوبيّة.

ت: إنّ ألفاظ الخطاب ومفرداته في بُعْدها الوظيفيّ متجاوبة متراتبة سياقيّاً، ومتناغمة مقاميّاً، ومتفاعلة معنويّاً، ومتناسبة دلاليّاً، إذْ من غير الممكن لأيّ مُتلقٍّ التّصرّف باستبدال مفردة بدل أخرى، إلّا ويلحظ جَليّاً انكسار المعنى الغائيّ الذي قصدته السيّدة الزهراء عليها السلام من وراء توظيفها إياه، وهذا ما ألمحته القراءة سرّاً من أسرار قوّة خطابها الفَدَكيّ.

ث: إنّ الآخر بأصنافه كلّها هو الدافع القطب الراكز عند السيّدة الزهراء عليها السلام وراء إلقاء خطابها برمته، لذلك رسمت ملامحه بمنتهى الاتقان، وشخّصته وعلاقاته بحصافة تامّة، لأهميته في تعضيد وظيفة الرسالة الحِجاجيّة وتقويتها، فضلاً عن توثيق سيرته السابقة واللاحقة وما بعدهما المتصلة بمواقفه التأريخية وأحداثها في الأصعدة كلها، التي يحرّكها النسق العقديّ المضمر والظاهر معاً. وهذا بدوره الوجوديّ وراء بيان انتسابها وانتمائها عليها السلام إلى (الآخر الرّحمانيّ في حزب الله)، وتعرية (الآخر في حزب الشّيطان) الخصم الظّالم وكشف حقيقة علاقة ارتباطه، وتوثيق صدق حجّيتها، وحفظ حقوق مقام النّبوة وخلافة الإمامة وميراثها الإلهيّ، تجاه آفاق الزّمن الآنيّ والمستقبل القريب والمتوسط والبعيد وحتى يحكم الله وهو خير الحاكمين.

ج: الأثر القرآنيّ في خطابها ومكوّناته تجليٌّ مُبينٌ، مكتنزٌ به تلقّيها لعلوم القرآن العظيم وثقافته، من حيث (الامتثال) في اتباع منهج أسلوب خطابه الإلهيّ، وانتقائها ناهلة ألفاظه ومفرداته ومعانيها ودلالاتها؛ -عبارةً وإشارةً ولطائفَ وحقائقَ-؛ والتزامها أحكام الله عز وجل وشرعه الشريف ومبادئ دِيْنه الحنيف، ومن حيث (الاستدلال) بآياته المحكمات بوجه الخصم الظالم، وهذا يدلّ دلالة قاطعة على قرب اتصالها الإلهيّ، وعلى عمق ارتباطها القرآنيّ، ولا عجب فهي حجّة الله الكُبرى ومشكاة نوره وقرآنه النّاطق.

ح: كوّن تكرار المفردات المفاتيح بأسراره التي أودعتها السيّدة الزهراء عليها السلام في خطابها، ملمحاً راكزاً في بِنية أسلوبية حِجاجها، إذْ كان ذوبانها بالذّات الإلهيّة المقدّسة (الله عز وجل) له الوقع اللافت الخاص، الذي جعل تَكرار ذكره جل جلاله يأخذ طابع الغَلَبَة في خطابها الفَدَكيّ كلّه، الدّال على ارتباطها العميق واتصالها الوثيق بالله عز وجل ، ومِنْ ثَمَّ يجيء تَكرار ذكر أبيها الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إذْ أرادت في خلاله إثبات حقّها الإلهيّ النّسبيّ إلى أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمفردة (أَبِي)، ومِنْ ثَمَّ يأتي تَكرار مفردة (كتاب الله) سبحانه وتعالى المُثبت توثيق وجود قرآن الله مكتوباً كما نزل في حياة أبيها رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنّه تركه وعترته أهل بيته عليهم السلام مدوّناً في المسلمين، وبعده تكرّر ذكر ابن عمّها بعلها الإمام عليّ عليه السلام ، فقصدت بتَكرار (ابن عمّي) في خطابها الفَدَكيّ، أنّها لم تخرج للمطالبة بـ(فَدَك) وحقوق إرثها فحسب، بل لإثبات حقّ خلافة إمامته الإلهيّة، عَبْر إسناد حُجّتها الخاصّة بابن عمّها الإمام الإلهيّ عليه السلام إلى علمه بـ(خصوص القرآن وعمومه)، على الخصم الظّالم المتقمّص.

خ: يحتل أسلوب الاستفهام في خطاب حِجاج السيّدة الزهراء عليها السلام بناءه كلّه، فكان قطبه الأساس وعصبه الأصل ووتده الرئيس، المستوحى من مرجعيات ثقافتها القرآنية المنصهرة اندماجاً فيه ظاهراً وباطناً وسطحاً وعمقاً، حيث تَشَكّل بمقاطع استفهامية كلّه، ولكلّ مقطع استفهاميّ له طابعه في وظيفة حركته الحِجاجية، الذي قصدته السيدة الزهراء عليها السلام بحسب أدواته واشتغالها وتأثيرها على دلالات المقطع كلّه. وهو ما يدلّ على علم يقينها ومعرفتها الدقيقة بأهميته ووظيفته واشتغاله وفائدته في كشف الخصم الظالم وتعريته في مقام حِجاجها، وما يشكّله من قرع لزعمه وادّعائه، وما يقوم به حِجاج الاستفهام من تحوّلات صادمة للقناعات وتغييرها حاليّاً وآنياً ومستقبلياً، وكذا في إظهار المخبوء عند الخصم على حقيقته، وتغيير مسار نسقه المضمر، وهذا كلّه هو ما وجدته القراءة في أثناء معالجتها، إذْ يعطي دلالة بيّنة جليّة على علمها عليها السلام فنّه وخصائصه، من حيث تكثيفه الدلاليّ، واقتصاده اللّغويّ، واختزاله الأُسلوبيّ وتردّده الصّوتيّ.

وفي نهاية النّهاية نُبدي قولتنا في خطاب السيّدة الزهراء عليها السلام وأدب خطبتها العصماء، وهي أنّ المُتلقّي المُختصّ بمستوياته العلمية وطبقاته المعرفيّة كلّها في لحظة مباشرته قراءتها الأُوْلى وما بعدها، يلمح ويلمس في الوقت نفسه القوة المعنوية الهائلة لمعاني ألفاظه، ودلالاتها المقاميّة والسّياقية المشحون بها خطابها عليها السلام، بما يكتنز فيه من قوة بلاغيّة دافعة لا تُجارى، وبما ينماز به من لغة متأصّلة جاذبة، بمرجعية عِلْمها اللدنيّ في مدرستها المُحمّديّة العَلويّة، وثقافتها العميقة القرآنيّة، التي تُدْهش البليغ الحَصِيْف، وتُصْدم اللّغويّ الثَّقِيْف، وكلّما تأمّل فيه يبدو له شيئاً جديداً!، لأنّه خِطابٌ يُواجه العصر وزمنه اللامتناهي، ثابتٌ بقيمه الإلهيّة، وبمبادئه السّماويّة،

وبأحكامه القرآنيّة، متغيّرٌ بتحدّيه المتغيرات الطارئة التي وُلِد في رحمها لمقارعة الظّلم ونكرانه ومحاربته، مع تغيّر المجتمعات الإنسانيّة في الأزمنة كلّها، والمُتتبع له يجد السّابرين غورَهُ، والسّائرين دربَهُ، والنّاهلين بُحورَهُ، والمُقْتَنِيين جَواهرَهُ ودُررَهُ، من العلماء والفقهاء والمناطقة والأدباء والفلاسفة والشّعراء ناهيك عن الفصحاء والبلغاء.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمَيْنَ.

مصادر الدراسة ومراجعها

◈ القُرآنُ الكَرِيْمُ

أ: الكُتُب المَطبوعة

١-الاحتجاج: لأبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطّبرسيّ (ت٥٦٠هـ)، تحـ/إبراهيم البهادريّ ومحمّد هادي بِه، دار الأُسرة للطباعة والنشر، مطبعة القرآن الكريم الكبرى، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ط٧/ ١٤٣٠هـ.

٢- أبحاث في سرّ الخطاب في الكتاب من الكتاب: للشّيخ عبدالكريم العقيليّ، مؤسّسة بنت الرسول صلى الله عليه وآله [بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله] لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام ، ط٢/ ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م.

٣- أدب فاطمة الزّهراء عليها السلام: د. محمود البستانيّ، مؤسسة التأريخ العربيّ، بيروت-لبنان، ط١/ ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٤- الآحاد والمثاني: لأبي بكر بن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيبانيّ (ت٢٨٧هـ)، تحـ/ د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض-السعودية، ط١/ ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٥- أساس البلاغة: جار الله محمود الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، تحـ/محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط١/ ١٩٩٨م.

٦- أساليب الإنشاء في كلام السيّدة الزهراء عليها السلام: عامر سعيد نجم الدليمي، دار التبليغ الإسلاميّ، العتبة العلوية المقدّسة، العراق- النّجف الأشرف، ط١/ ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٧- الأسرار الفاطميّة: الشيخ محمّد فاضل المسعوديّ، مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة- لحضرة السيدة فاطمة معصومة للطباعة والنشر، ط١/ ١٤٢٠هـ.

٨- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البر النمريّ القرطبيّ (ت ٤٦٣هـ)، تحـ/عليّ بن محمّد البجاريّ، مطبعة نهضة مصر القاهرة، (د-ط-ت).

٩- أسلوب الاستفهام القرآن الكريم –غرضه، إعرابه-: عبد الكريم محمود يوسف: دار الشام مكتبة الغزّالي للتوزيع، ط١/ ٢٠٠٠م.

١٠- أصول الجدل وآداب المحاجة في القرآن الكريم: محمّد علي نوح فوجيل، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ط٢/ ٢٠٠١م.

١١- أصول الكافي: لأبي جعفر محمّد بن يعقوب الكُلينيّ (ت٣٢٨هـ)، تصـ/ عليّ أكبر الغفّاريّ، دار الكُتب الإسلامية، ط٢/ ١٣٨٩هـ.

١٢- بحار الأنوار: لمحمّد باقر المجلسيّ (ت١١١١هـ)، تحـ/ لجنة من العلماء والحققين، تعليق الشيخ عليّ النّمازي الشّاهروديّ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١/ ٢٠٠٨م.

١٣- تاج العروس: لمحمّد مرتضى الحسينيّ الزبيديّ (ت١٢٠٥هـ)، تحـ/ عبد السّلام هارون وزملائه، الكويت (د-ت).

١٤- تـأريخ اليعقـوبيّ: لأحمـد بـن أبي يعقـوب اليعقـوبيّ (ت٢٨٥هـ)، المكتبـة الحيدرية، النجف الأشرف، (د-ط)/ ١٣٨٤هـ.

١٥- تأريخ دمشق: لابن عساكر، مطبعة دار الكُتب التراثيـة، بـيروت - لبنـان، (د-ط)/ ١٣٨٨هـ.

١٦- تـأريخ نظريـات الحِجـاج: فيليـب بروتـون وزميلـه، تـر/ د.محمّـد صـالح الغامديّ، مركـز النـشر العلمـيّ، مطـابع جامعـة الملـك عبـد العزيـز- الـسعودية، ط١/ ٢٠١١م.

١٧- التّداوليـة والحِجـاج - مـدخل ونـصوص-: صـابر الحباشـة، صـفحات للدراسة وللنشر، دمشق - سوريا، ط١/ ٢٠٠٨م.

١٨- تـصنيف نهـج البلاغـة: لبيـب بيـضون، مركـز النـشر-مكتـب الإعـلام الإسلاميّ، طهران-إيران، ط٢/ ١٤٠٨هـ.

١٩-جـامع الأخبـار: لمحمّـد بـن محمّـد الـسبزواريّ، مـن أعـلام القـرن الـسابع الهجريّ، تحـ/علاء آل جعفر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت-لبنان، ط١/ ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢٠- جامع الأحاديث: لجلال الدين السيوطي، طبـع عـام دار الفكـر، (د-ط)/ ١٤١٤هـ.

٢١- جامع دواوين الشعر العربيّ على مـرّ العـصور: موقـع أدب علـى الـشبكة العنكبوتية، يربو على واحدٍ وتسعين جزءاً.

٢٢- الحِجاج بين النّظرية والأسلوب: بتريك شاوردو، ضمن كتـاب نحـو المعـنى

والمبنى، تر/ أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط١/ ٢٠٠٩م.

٢٣- الحِجاج في البلاغة المعاصرة: محمّد سالم محمّد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط١/ ٢٠٠٨م.

٢٤- الحِجاج والحقيقة وآفاق التأويل: علي الشبعان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط١/ ٢٠١٠م.

٢٥- الحِجاج والمغالطة –من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار-: رشيد الراضي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط١/ ٢٠١٠م.

٢٦- السيميائيات والتأويل: سعيد بنكَراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط١/ ٢٠٠٥م.

٢٧- سيمياء الصورة العنوانيّة: د.حمد محمود الدُّوخي، بحث ضمن دراسة عنوانها (فضاء الكون الشعريّ)، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق-سورية، ط١/ ٢٠١٠م-١٤٣٠هـ.

٢٨- شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد المعتزليّ، تحـ/ محمّد أبي الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط١/١٩٨٧م.

٢٩- صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحـ/ أحمد محمّد شاكر، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت- البنان، (د-ط-ت).

٣٠- صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج القشيريّ (ت٢٦١هـ)، دار القاهرة، مصر، ط١/ ١٩٥٥م.

٣١- صورة الآخر في الخطاب القرآنيّ –دراسة نقديّة جماليّة- بالتّصرف:

د.حسين عبيد الشمريّ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١/ ٢٠٠٨م.

٣٢- عندما نتواصل نغيّر –مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحِجاج-: عبد السلام عشير، دار أفريقيا الشّرق، المغرب، ط١/ ٢٠٠٦م.

٣٣- غريب الحديث: لأبي عبيدة القاسم بن سلّام الهرويّ (ت٢٢٤هـ)، تحـ/ د.محمّد عبد المعيد، دار الكتاب العربيّ، بيروت- لبنان، ط١/ ١٣٩٦هـ.

٣٤- الفائق في غريب الحديث: لجار الله محمود بن عمر الزمخشريّ، تحـ/ عليّ محمّد البجّاري وزميله، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان، ط١/ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٣٥- في بلاغة الخطاب الإقناعيّ: محمّد العمري، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء- المغرب، ط١/ ١٩٨٦م.

٣٦- الكتاب: الآحاد والمثاني: أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشّيبانيّ، تحـ/ د. باسم فيصل أحمد الجوابرة الناشر/ دار الراية - الرياض ط/١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٣٧- كشف الغمة: لأبي الحسن عليّ بن عيسى الإربليّ (ت٦٩٣هـ)، دار الأضواء، بيروت- لبنان، (د-ط)/ ١٤٠٥هـ.

٣٨- لسان العرب: لابن منظور (ت٧١١هـ)، تحـ/ محمّد الصادق العبيدي وزميله، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التأريخ العربيّ، بيروت- لبنان، ط٣/(د-ت).

٣٩- اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزّهراء عليها السلام: لمحمّد عليّ بن أحمد التّبريزيّ الأنصاريّ (ت ١٣١٠هـ)، تحـ/ هاشم الميلانيّ، دار التبليغ الإسلاميّ، بيروت- لبنان، ط٢/ ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٤٠- مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحـ/ محمّد عبد السّلام عبد الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١/ ١٩٩٣م.

٤١- معاني النّحو: د.فاضل السامرائي، دار إحياء التراث العربيّ، مؤسسة التأريخ العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١/ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٤٢- المعجم الكبير: للحافظ أبي القاسم سلمان بن أحمد الطّبرانيّ (ت٣٦٠هـ)، تحـ/ محمّدي عبد المجيد السلفيّ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة- مصر (د-ط-ت).

٤٣- المعجم الوسيط: لمجمع اللغة العربية، إشراف: عبد السّلام محمّد هارون، المكتبة العلمية، طهران- إيران (د-ط-ت).

٤٤- المغني اللبيب: لابن هشام الأنصاريّ (ت ٧٦١ هـ)، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ط١/ ١٩٩٨م.

٤٥- موسوعة كلمات الإمام الحُسين عليه السلام: معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام ، منظمة الإعلام الإسلاميّ، انتشارات أسوة، منظمة الأوقاف والأمور الخيرية، طهران - إيران، ط١/ ١٤٢٥هـ.

٤٦- النّظرية الحِجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية: محمّد طروس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، (د-ط-ت).

٤٧- نهاية الأرب في فنون الأدب: لأحمد عبد الوهاب النويريّ (ت٧٣٣هـ)، القاهرة- مصر، (د-ط)/ ١٩٢٩م،

٤٨- نهج البلاغة: تحـ/ السيد الميلاني، العتبة العلوية المقدّسة، مكتبة الروضة الحيدرية، النجف الأشرف- العراق، ط٣/ ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٤٩- نهج البلاغة: تحـ/ فاتن محمّد خليل الليوت، دار إحياء التراث العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١/ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٥٠-استبار التّكرار، استبار التّلقي تكرار التراكم: أ.د.عبد الكريم راضي جعفر، مجلة الموقف الثّقافي، ع٣٥٤/ ٢٠٠١م.

٥١- بنية الحِجاج من منظور لسانيات الخطاب في خطبة الزهراء عليها السلام: د.فاطمة كريم رسن، مجلة الأُستاذ، ع٢٠٤-م١/ ٢٠١٣م.

٥٢- البيان الحِجاجيّ في إعجاز القرآن الكريم: عبد الحليم بن عيسى، مجلة التراث العربيّ، دمشق-سوريا، ع١٠٢/٢٠٠٦م.

٥٣- فاعلية التّكرار في بِنية الخطاب الشّعريّ: عبد الفتاح يوسف، مجلة فصول النقد الأدبيّ، مج ع ٦٢، صيف وخريف/ ٢٠٠٣.

٥٤- النّص الحِجاجيّ العربيّ –دراسة في وسائل الإقناع-: محمّد العبد، مجلة فصول النقد الأدبيّ، مج ع ٦٠، شتاء/ ٢٠٠٢م.

٥٥- الاحتجاج العقليّ والمعنى البلاغيّ –دراسة وصفيّة-: ناصر بن دخيل الله السّعيديّ، جامعة أمّ القرى-كلية اللغة العربية/ فرع الأدب والبلاغة والنّقد- أطروحة دكتوراه، ٢٠٠٤/٢٠٠٥م.

٥٦- الإقناع في الخطاب القرآنيّ سورة الشّعراء نموذجاً –دراسة حِجاجيّ-: هشام بلخير، جامعة الحاج لخضر-كلية الآداب واللغات/ قسم اللغة العربية- رسالة ماجستير الجزائر، ٢٠١١/٢٠١٢م.

٥٧- الحِجاج في خطابات النّبي إبراهيم عليه السلام: سعدية لكحل، جامعة

مولـود معمـري-كليـة الآداب واللغـات/ قـسم الأدب العـربيّ، رسـالة ماجـستير، ٢٠٠٨/٢٠٠٩م.

٥٨- الحِجاج في النّص القرآنيّ –سورة الأنبياء أنموذجاً-: إيمان درنـوني، جامعـة الحـاج لخـضر-كليـة الآداب واللغـات/ قـسم اللغـة العربيـة وآدابهـا، رسـالة ماجـستير، ٢٠١٢/٢٠١٣م.

٥٩- العوامل الحِجاجيّة في اللغة العربية: عزّ الدين الناجح، جامعة منوبة-كليـة الآداب واللغات/قسم اللغـة والبلاغـة والنقـد، بحـث لنيـل شـهادة الدراسـات المعمّقـة، ٢٠٠٢/٢٠٠٤م.

مَسْرَدُ المَوضُوعَاتِ

الإِهْـدَاءُ ٦

المُقَدِّمَة..... ٧

الفصل الأول: خَصَائِصُ النِّتَاجِ الأَدَبِيّ لَلسَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام 13

خصائص النِّتاج الأدبيّ للسيّدة الزهراء عليها السلام..... ١٥

الفَصْلُ الثَّانِي: أَحْدَاثُ الخُطْبَةِ وَمُنَاسَبَتُهَا..... 19

أَحْدَاثُ الخُطْبَةِ ومُنَاسَبَتُهَا ٢١

الفَصْلُ الثَّالِثُ: أَسْرَارُ حَقَائِقِ عُنْوَانِ الخُطْبَةِ وَجَمَالِيَّةُ دِيْبَاجَتِهَا 27

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: أَسْرَارُ سِيمْيَاءِ العُنْوَانِ وَمُنَاسَبَتهُ ٢٩

أولاً: البُعد الموضوعي الخارجيّ ٢٩

ثانياً: البُعْد الذَّاتيّ الدَّاخليّ ٣٠

المَبْحَثُ الثَّاني: جَمَالِيَّةُ هَنْدَسَةِ دِيْبَاجَةِ الخُطْبَةِ وَبِنْيَتِهَا..... ٣٢

الفَصْلُ الرَّابِعُ: التَّنَاسُبُ الدّلَالِيّ وَتَرَاتُبُهُ السِّيَاقِيّ..... 39

الفَصْلُ الخَامِسُ: أَصْنَافُ الآخِرِ وَمَلَامِحُهُ فِي خِطَابِهَا الحِجَاجِيّ..... 47

توطئة ٤٩

المَبْحَثُ الأَوّلُ: الآخرُ الاسْتِثْنَائِيُّ الإِلهِيُّ الرَّحْمَانِيُّ وَمَلَامِحُهُ (حِزْبُ الله الغَالِب) ٥١

المَبْحَثُ الثَّانِي: الآخرُ الوَضْعِيُّ الأَرْضِيُّ وَمَلَامِحُهُ (حِزْبُ الشَّيْطَانِ الزَّاهِقِ) ٥٦

الفَصْلُ السَّادِسُ: تَشْخِيْصُهَا عليها السلام القُرآنيُّ لِعَلَاقَةِ الآخِرِ بِالشَّيْطَانِ.. 67

الفصل السّابع: تلقّيها عليها السلام للقرآن بينَ الامْتِثَالِ والاستِدْلَال 83

المَبْحث الأوّل: الامتثال القرآنيّ في تلقّي خطابها ٨٥

أولاً: افتتاح الخطاب واستهلاله (كلمة الديباجة) ٨٥

ثانياً: تَوْظيف المُفْردات القرآنيّة في سِيَاقِها الحِجاجيّ..... ٨٦

المَبْحَثُ الثَّانِي: اسْتِدْلَالُهَا عليها السلام بِالنَّصِّ القُرآنِيِّ فِي خِطَابِهَا وَخَصَائِصُهُ. ٩٨

١. استدلالها القرآنيّ..... ٩٨

٢. خصائص استدلالها القرآنيّ..... ١٠٤

الفصل الثّامن: إشارة التّطابق المتبادل على إشارة بعلها الإمام عليّ عليهما السلام وقصدها 107

المبحث الأوّل: الإشارة وتطابقها المتبادل ١٠٩

المبحث الثّاني: قصدية التّطابق المتبادل..... ١١٢

الفصل التّاسع: أسرار تكرار الكلمة المفتاح ووظيفته الحِجَاجيّة 113

توطئة وتقديم..... ١١٥

المبحث الأوّل: تكرار كلمة لفظ الجلالة (الله) جل جلاله ١١٧

المبحث الثّاني: تَكرار كلمة (أَبِي) أبيها رسول الله مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ١١٩

المبحث الثّالث: تكرار كلمة (ابن) عمّي و(الأخ) لشخص الإمام عليّ عليه السلام ١٢٤
المبحث الرّابع: تكرار كلمة (كِتَاب الله) سبحانه القرآن العظيم ١٢٧
الفصل العاشر: جماليّة تكثيف الكلمة الموضوع وأسراره 133
توطئة ١٣٥
الفَصْلُ الحَادِي عَشَر: جَمَالِيَّةُ الاسْتِفْهَامَاتِ وَمَلَامِحُ اشْتِغَالِهَا الحِجَاجِيّ .. 147
توطئة ومِهاد ١٤٩
المبحث الأوّل: جمالية أسرار استفهامات خطابها عليها السلام ١٥١
المبحث الثّاني: ملامح اشتغال استفهاماتها الحِجَاجيّ ١٥٥
أولاً: المقطع الاستفهاميّ (الأوّل) ١٥٥
ثانياً: المقطع الاستفهاميّ (الثّاني) ١٥٩
ثالثاً: المقطع الاستفهاميّ (الثّالث) ١٦١
رابعاً: المقطع الاستفهاميّ (الرّابع) ١٦٣
خاسماً: المقطع الاستفهاميّ (الخامس) ١٦٥
سادساً: المقطع الاستفهاميّ (السّادس).....١٦٩
خَاتِمَةُ الدِّرَاسَةِ وَنَتَائِجُهَا 173
مَصَادِرُ الدِّرَاسَةِ وَمَرَاجِعُهَا 181
أ: الكُتُب المَطبوعة.....١٨٣
مَسْرَدُ المَوضُوعَاتِ ١٩١